جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي

إعداد

غيداء فضل عاشور

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2021م، 1442هـ

©2021م. غيداء فضل عاشور. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة غيداء فضل عاشور بتاريخ يونيو 2021، وتمت الموافقة عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

أ. د محمد أمزيان

المشرف على الرسالة

أ. د سعيد كفايتي

مناقش خارجي

أ. د يوسف بنلمهدي

مناقش داخلي

د. عمر بن بوذينة

مناقش داخلي

تمّت الموافقة:

الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

غيداء فضل عاشور، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات:

يونيو 2021م.

العنوان: خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي

المشرف على الرسالة: أ. د محمد أمزيان

يناقش هذا البحث ظاهرة الاستعلاء في الخطاب الغربي، ومدى تأثيره في الحوار الحضاري مع الآخر المختلف. ولتشخيص هذه الظاهرة وفهم أبعادها لابد من فهم المرجعيات الفكرية للمركزية الأوروبية خاصة وأن خطاب المركزية هو الذي ساهم في ظاهرة الاستعلاء، نظراً لما يحمله الخطاب من روح عدائية للآخر المختلف عنه، والنظر إليه كما لو أنه تحت سلم الحضارة الإنسانية، وبالخصوص المجتمعات الإسلامية. ولقد تجسدت استعلائية الغرب في تنصيب نفسه المنتج الأوحد للقيم الإنسانية، والمرجع الأوحد في تقسيم الثقافات والشعوب إلى شعوب متخلفة وأخرى ارتقت عبر مدارج الإنسانية وصولاً إلى المدنية.

إن خطاب المركزية الأوروبية هو المسؤول عن هذه الظاهرة بسبب ما ينتجه خطابه من تنميط للآخر وتشويه صورته وثقافته، وكل ذلك من أجل الهيمنة على الآخر، والتعامل معه من موقع الوصاية لما يملكه من قوة معرفية وثقافية وعسكرية ومادية. كما عمل من خلال مؤسساته ومراكزه الفكرية على تقديم صورة مشوهة للإسلام وحضارته بكل مكوناتها لإجهاض مضامينها التي لا تتناسب مع معايير حضارته، ومن ثم العمل من أجل صياغة إسلام جديد يتوافق مع قيمه الليبرالية.

ABSTRACT

Western Civilizational Supremacy Discourse and its Impact on Western-Islamic Dialogue.

This research discusses the phenomenon of Western supremacy discourse, and the extent of its influence on the civilizational dialogue with the different 'other'. In order to analyze this phenomenon and understand its dimensions, one must understand the intellectual origins of Eurocentrism, especially since the discourse of centralism is the one that contributed to the phenomenon of supremacy, given the hostile spirit that the speech carries against the different 'other'. This viewpoint considers those who are different, especially Muslim societies, as backward and uncivilized. This western supremacy is embodied in establishing itself as the sole producer of human values and ethics. This attitude appears in the way the West proposes itself as the sole reference for classifying various cultures and peoples into backward nations and others that are progressing towards civilized societies.

Therefore, the Eurocentrism discourse is accountable for this phenomenon because of the stereotyping discourse it produces concerning the 'other'. This trend of thinking tends to distort the image of other cultures and societies in preparation for their domination and control; a paternalist attitude, which is due to the cultural, military and material power the West, possesses. Through its various institutions and intellectual centers, the West tend to present a misleading image of Islam and its civilization with all its components to abort its contents that do not fit the standards of its civilization. This happens in hope that Western powers generate a new Islam that is compatible with their liberal values.

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل الذي أتم على نعمته، ووالى لي منته، ووفقني لإتمام وتحرير هذا البحث؛ فله الحمد على ما أنعم وتفضل وأكرم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

أتوجّه بجزيل الشكر لجامعة قطر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ممثلة في عميدها أ. د إبراهيم الأنصاري على ما بذلوه لي من عونٍ وخير.

وأتقدم بأرقى وأثمن عبارات الشكر والتقدير إلى أ. د محمد أمزيان على تفضله بالإشراف على هذا البحث، وإسداد النصح، والتوجيهات النافعة؛ والذي منحني من وقته وجهده ما يكفي لإخراجها على النحو المطلوب، فجزاه الله عني كل خير، ونفع بعلمه وبارك عمله.

كما يطيب لي أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان والتقدير إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد المجالي العميد المساعد لشؤون الدراسات العليا، وفضيلة الدكتور عبدالقادر بخوش رئيس قسم العقيدة والدعوة، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد زايد منسق البرنامج، وإلى جميع أساتذتي الذين تتلمذت على يديهم وبالأخص الدكتور محمد عياش، والدكتور عزالدين معميش، وفضيلة الدكتور محمد خليفة حسن أتم الله شفاءه، الذي اعتبره دوماً الناصح الأمين، والشخصية المتواضعة الذي أحبها الجميع؛ فلهم من الشكر أجزله، ومن الدعاء أوفره..

وشكري موصول إلى أمي الغالية طالما دعواتها عنوان دربي، وإلى أبي الغالي الذي كان رضاؤه جزء من طموحي وسيري في طريق الماجستير، وأخيراً أشكر كل من أسهم ولو بكلمة طيبة وشارك بدعوى صالحة ومحبة صادقة. فجزاكم الله عني خيراً..

الإهداء

وإن للعــلا نفــوسا ترنــو إليـــه..

وإن بالأخــلاق يسمــو المــرء ويرتـقي، وبهـا ينـال مجـــده ومــا يبتــغي..

" أسأل الله القدير المتعال أن يجعل لكم منـها الحظ الوافر والنصيب الجلي الذي لا يخطئ".

فهرس المحتويات

الإهداء ..... و

المقدمة 9

أولًا: فكرة البحث 9

ثانيًا: أهمية البحث 9

رابعاً: أسئلة البحث 10

خامساً: فرضية البحث 11

سادساً: منهج البحث 11

سابعاً: حدود البحث 11

ثامناً: الدراسات السابقة 12

تاسعاً: خطة البحث 16

التمهيد 20

أولًا. تعريفات أولية 21

ثانيًا: الأبعاد الدلالية للاستعلاء ومرادفاته في القرآن الكريم: 23

ثالثًا: الأبعاد الدلالية للاستعلاء في الفكر الغربي 28

الفصل الأول: خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي: الرواد والنظريات 37

المبحث الأول: نظرية صدام الحضارات 37

المطلب الأول: اعتبار الحضارات الأخرى خطرًا 38

المطلب الثاني: اعتبار الحضارة الغربية سيدة الحضارات الأخرى 39

المطلب الثالث: النزعة الاستعلائية للثقافية الغربية 40

المبحث الثاني (نظرية نهاية التاريخ) 41

المطلب الأول: نهاية التاريخ والإنسان الأخير 41

المطلب الثاني: الصراع من أجل الاعتراف 42

المطلب الثالث: التغييرات في مواقف فوكوياما الفكرية 43
المبحث الثالث: نظرية الفوضى الخلاقة 44
المطلب الأول: أيديولوجية الفوضى الخلاقة 45
المطلب الثاني: الديمقراطية أداة للتفكيك 46
الفصل الثاني: تداعيات الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي.....49
المبحث الأول: أثر الاستعلاء على الموقف الغربي من الحوار الحضاري 49
المطلب الأول: أسباب رفض الغرب الحوار مع المسلمين 49
المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي.....55
المبحث الثاني: أثر الاستعلاء على الموقف الإسلامي من الحوار الحضاري 57
المطلب الأول: أسباب رفض المسلمين الحوار مع الغرب 58
المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي.....63
الخاتمة.....68
قائمة المصادر والمراجع 70
المراجع باللغة العربية: 70
المراجع باللغات الأجنبية: 76
مراجع شبكة الإنترنت: 77

مقدمة

أولًا: فكرة البحث

يعالج هذا البحث واحدة من المشكلات المعاصرة المزمنة التي تحكم العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وهي مشكلة الاستعلاء الحضاري الغربي وتداعياته السلبية على مسار الحوار بينهما. وبالنظر إلى الطابع الشمولي للاستعلاء الحضاري الغربي، بكل تجلياته السياسية والاقتصادية والعسكرية، يركز هذا البحث على الجانب الفكري منه، حيث يتجه العمل إلى استكشاف بعض ما يقوم شاهداً على الطابع الفوقي والاستعلائي للخطاب الغربي في تعامله مع الحضارات الإنسانية بشكل عام، والحضارة الإسلامية بشكل خاص. وضمن هذا السياق يأتي الحديث عن المركزية الغربية، ومرتكزاتها النظرية والأخلاقية، واستجلاء أبعادها الإقصائية والتنميطية، ومخاطرها على التعددية الفكرية والثقافية، وما تؤول إليه من تقويض لمبدأ حتى تستقيم ولروح التعايش السلمي بين الحضارتين، ولروح التفاهم والحوار بينها.

ثانيًا: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تشخيص ظاهرة الاستعلاء الغربي من خلال الخطاب الغربي الذي لا يعترف بالآخر ويتعامل مع الشعوب الأخرى، والشعوب الإسلامية على وجه التحديد، على أنها شعوب لا تستطيع تمثيل نفسها وتحتاج من يمثلها.

الأمر الذي يفسر نزعة الغرب نحو فرض هيمنته والتي سوغت له ممارسة الوصاية عليها بجميع أشكالها المتعددة. ويمكن إجمال أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

أ. فهم أبعاد الاستعلاء الحضاري وتجلياته الفكرية والثقافية في الخطاب الغربي.

ب. بيان طبيعة الآليات التي يوظفها الخطاب الغربي في التعامل مع الثقافات المغايرة.

ت. كشف الجذور التاريخية لظاهرة الاستعلاء الغربي باعتباره خاصية محايثة للخطاب الغربي لازمته في مختلف أطواره، وليست دخيلة أو طارئة عليه.

ث. التعريف بأهم النظريات والرواد المنظِّرين لخطاب الاستعلاء الحضاري في الغرب.

ج. بيان أثر خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي.

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تقديم صورة موضوعية عن العلاقة القائمة بين الحضارتين الإسلامية والغربية بكل تفاعلاتها السلبية والإيجابية، ويمكن تفصيل ذلك في الأهداف التالية:

أ. بيان الوجه الحقيقي للخطاب الغربي المركزي باعتباره خطابًا يتسم بالاستعلاء والفوقية والهيمنة.

ب. بيان خطأ التعميمات الشائعة التي تتجاهل تنوع الخطاب الغربي، وتعد الغرب وحدة شيطانية.

ت. تعميق وعي القارئ العربي بالوجه الآخر للخطاب الغربي المتسامح، وأهميته في دعم ثقافة الحوار الحضاري، واحترام التعددية الثقافية للشعوب، وأهمية التعاون في المشتركات الإنسانية لحل الأسئلة المزمنة العالقة.

ث. الإسهام في تحجيم الخطاب الاستعلائي الغربي، وبيان مخاطره على السلم العالمي عامة، وتهديده لمبدأ التعايش السلمي بين الشعوب الإسلامية والغربية خاصة.

ج. تصحيح زيف الدعاية الغربية المركزية التي تدعي احترام الغرب لمبدأ الحوار والتعددية وثقافة التسامح.

ح. تصحيح زيف الدعاية الغربية المركزية التي تعمل جاهدة على إلصاق تهمة الكراهية وعدم التسامح، ورفض مبدأ الحوار مع المسلمين.

رابعاً: أسئلة البحث

خلال دراسة ظاهرة الاستعلاء الغربي، سيتم الوقوف على الأسئلة التالية لتشخيص هذه الظاهرة وفهم أبعادها الفكرية ومدى تأثيرها على مشروع حوار الأديان والثقافات المؤدي إلى التعايش السلمي بين الحضارات.

1- ماذا يعني الاستعلاء؟ وما معالمه وتجلياته كما يحددها القرآن الكريم؟

2- ما مفهوم الاستعلاء في الخطاب الغربي كما تجسده أدبياته الفكرية والفلسفية؟

3- ما موقع ظاهرة الاستعلاء من الخطاب الغربي؟ وإلى أي حد يمكن اعتبارها مركزية في التاريخ الثقافي الغربي؟

4- من هم أبرز الرواد الغربيين الذين نظّروا لخطاب الاستعلاء الحضاري؟ وما هي أهم نظرياتهم؟

5- ما تداعيات الاستعلاء الحضاري على الحوار الغربي الإسلامي؟

6- ما حدود وإمكانات تجاوز هذه التداعيات، وما فرص نجاح بناء شراكة متوازنة مع المفكرين الغربيون المنصفين؟

خامساً: فرضية البحث

يتضح من المقدمات السابقة، أن الفرضية الرئيسية التي ينطلق منها هذا البحث هي: إن الخطاب الغربي المركزي خطاب استعلائي، وهذا الاستعلاء يؤثر سلبًا على الحوار الإسلامي الغربي، وهي نتيجة طبيعية لعقلية الغطرسة والهيمنة والفوقية التي يتسم بها الخطاب الغربي المتفوق حضاريًّا، والتي تنعكس بقوة في الكتابات الغربية وأدبياتها المتحيزة خاصة الأمريكية منها.

سادساً: منهج البحث

واقتضت طبيعة البحث أن تجتمع فيه المناهج المتعددة وهي: المنهج الوصفي والتاريخي، والنقدي؛ للوصول إلى قدر معقول من الرصد العام للنظريات والأفكار المرجعية التي يتأسس عليها الخطاب الاستعلائي الغربي، إلى جانب اعتماد منهج يجمع بين الوصفي والاستقرائي معًا؛ فهو من جهة وصفي يرصد مظاهر الاستعلاء وتأثيره السلبي على الحوار، ومن جهة ثانية يتطلب استقراء النصوص المرجعية بالقدر الذي يمكن من فهم الإطار العام للمركزية الفكرية الغربية.

وعلى الرغم من أن الجانب التاريخي يبقى أقل أهمية في هذا البحث، فإن ظاهرة الاستعلاء الحضاري التي تميز الخطاب الغربي يتعذر فهمها ما لم يتم دراستها في سياق جذورها الممتدة في التاريخ الفكري الغربي، وهو ما يستدعي المنهجية المعتمدة في دراسة تاريخ الفكر، وهو مدخل يسمح برسم الخط البياني لخارطة الأفكار وتراكمها عبر الزمن، ما يتيح فهمًا أكثر دقة لهذه الظاهرة في واقعها الحالي.

أما المنهج النقدي التحليلي، فيحتل مكانة مركزية في البحث باعتباره المدخل إلى تفكيك الأساطير الأخلاقية والنظرية المؤسسة لخطاب الاستعلاء، وبيان مدى تحيزها للأيديولوجية الغربية، ووقوعها تحت تأثير النزوع البراغماتي المفرط، وعدم التزامها بالحد الأدنى من شروط الموضوعية والحياد العلمي.

سابعاً: حدود البحث

يثير موضوع الاستعلاء الحضاري الغربي تساؤلات متشعبة يصعب حصرها أو الإحاطة بكل مساراتها في بحث محدود كهذا؛ وذلك بحكم وطأة الواقع الراهن الذي يعيشه عالمنا ككل تحت واقع العولمة بكل تجلياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، والثقافية؛ لذلك سيتم حصر هذا البحث في جانب واحد منها فقط، وهو المتعلق بالخطاب الفكري كما تعبر عنه نماذج من الكتابات الغربية المتحيزة.

ومن جهة ثانية، ودفعًا لشبهة التعميم، ينطلق هذا البحث من قناعة مسبقة بأن الخطاب الغربي خطاب متنوع ولا يمكن اختزاله فقط في الاتجاهات والنظريات المتحيزة التي تتعصب للمركزية الغربية؛ واستنادًا إلى هذا التمييز الواعي، فإن "فرضية الاستعلاء الحضاري" التي ينطلق منها هذا البحث تبقى محصورة، وتنطبق فقط على الكتابات الغربية المتعصبة، علمًا بأن هذه الكتابات هي التي تتحكم فعلًا في رسم الاستراتيجيات الغربية المتحيزة ضد الشعوب والمجتمعات الإسلامية.

وبالمقابل تمثل الكتابات الغربية المتعاطفة والمناصرة للقضايا الإنسانية العادلة فرصة لبناء شراكة حقيقية بين المجتمعات الإسلامية والغربية، وفرصة تاريخية للتلاقي والحوار، وهو ما يؤكد صدق المقولة التي يلتقي حولها العديد من المفكرين العرب والغربيين على السواء، وهي أن الغرب ليس وحدة شيطانية.

أما عن الحدود الزمنية، فمن المعلوم أن ظاهرة الاستعلاء الحضاري تعد واحدة من أخص الخصائص التي لازمت الغرب الاستعماري عبر تاريخه المفعم بالصراعات والحروب، وهو ما لا تتسع له صفحات هذا البحث الذي سينحصر ضمن التاريخ المعاصر، مع إمكانية استدعاء بعض من المواقف التاريخية متى اقتضى البحث ذلك. أما بالنسبة للحدود المكانية، فهي تنحصر بين العالم الإسلامي والعربي من جهة، والعالم الغربي من جهة ثانية.

ثامناً: الدراسات السابقة

نظراً للطابع الجدلي والمثير الذي يسم هذا الموضوع، من المؤكد وجود كتابات اهتمت بتشخيص ظاهرة الاستعلاء الغربي تحت عناوين شديدة التنوع، لكنها تشترك مع عنوان "الاستعلاء" في التعبير عن هذا النزوع العدواني والمتمرد على قيم التسامح ومبدأ الحوار والتعايش، وثقافة السلام والأمن، وغيرها من القيم والمبادئ التي كان يجب أن تحكم علاقة الشرق بالغرب. لا يتسع هذا الحيز لاستعراض الكثير منها، لكن ثمة عناوين باتت تفرض نفسها على كل من يشتغل بهذا المجال، وسنقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: تمثله الكتابات المتحيزة والمتعصبة للمركزية الغربية، وهي مصادر أصلية تعبر عن منظور صراعي صدامي عنصري إقصائي، حيث تعمل على تقديم المبررات النظرية والأخلاقية الداعمة لهذا التوجه العدواني.

أما القسم الثاني: فسنذكر فيه نماذج من الكتابات النقدية، من داخل الغرب ومن خارجه، وهي الكتابات التي تسعى جاهدة إلى تفكيك خطاب الاستعلاء، وتعرية التوحش الغربي، وبيان الآليات التي يتوسل بها في تدمير ثقافة الشعوب ومحق التعددية.

ومن مجموع العناوين التي سنذكرها، وهي مجرد عينات دالة على حجم الاهتمام العالمي بهذه الظاهرة، يبقى لهذا البحث بعض خصوصياته التي تتمثل أساسا في ضبط أوجه التفاعل بين "الاستعلاء" و"الحوار"، وضمن حدود ضيقة لا تتعدى المجال الفكري من جهة، والعلاقة بالجانب العربي الإسلامي من جهة ثانية.

أولًا: محور تقييم المصادر والمراجع:

- **صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، (بيروت: سطور، ط2، 1999م).**

في هذا الكتاب، الذي لاقى صدى واسعًا في العالم، خصوصًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، يفسر صموئيل هنتنجتون من خلاله أن الصراع الحضاري القادم ليس صراع أيديولوجيات أو اقتصاد أو قومية، بل هو صراع صدوع ثقافية ذات طبيعة دينية وعقدية.

- **فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشايبي، (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993م).**

في هذا الكتاب، خلص فوكوياما إلى أن التاريخ يوشك أن يصل إلى نهايته بانهيار الاتحاد السوفيتي، وتفكك المعسكر الشيوعي واندثار حلف وارسو، وراح يبشر بميلاد عصر جديد كبديل حضاري يحصل فيه توافق عالمي واسع حول المثل الديمقراطية، حيث ستنتهي كل الحضارات، ما عدا الحضارة الغربية.

- **فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق"، ترجمة: محمد محمود التوبة، الرياض: دار العبيكان، ط1، 2007،**

عرّف فوكوياما مساره الفكري تطوراً إيجابياً بالتزامن مع إصدار كتابه الموسوم بـ "أمريكا على مفترق الطرق"، وهو ما يعتبره انشقاقًا عن مشروع المحافظين الجدد، ونزعتهم

المركزية الاستعلائية. وقد حاول فوكوياما من خلال هذا الكتاب عرض وجهة نظره المعارضة لمشروعهم، إلى جانب توضيح مدى خطورة السياسات الأمريكية. ليخلص إلى ضرورة اللجوء إلى حل أمثل، وأكثر واقعية لتجنب الحروب المؤدية للصراعات العالمية.

- **Michael Ledeen, creative destruction**

يعتبر مايكل ليدن، أبرز منظّري نظرية الفوضى الخلاقة أو المدمرة، ويعرض في كتابه الذي صدر بعنوان "التدمير الخلاق" نظريته التي صاغها وتبنتها أمريكا في استراتيجياتها لهدم عوامل الاستقرار في المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك من خلال زعزعتها من الداخل وتوظيف النزاعات الداخلية للسيطرة والتحكم في إدارة المجتمعات الإسلامية. وفي مؤلفاته العديدة المتمركزة حول نفس الفكرة، يؤكد ليدن ضرورة العمل على هدم كل ما يتصل بثقافة من يصفهم بأعداء أمريكا من آداب وعلوم وفن وهندسة وسياسة وقانون، وهو يؤمن بأن العنف هو جوهر التاريخ البشري، وعملية التدمير هي السبيل الناجع للنهوض بالمهمة التاريخية للولايات المتحدة.

- **Bernard Lewis, What Went Wrong, Oxford University Press, 2002**

تتميز كتابات برنار لويس بطابعها العنصري العنيف وهو ما يظهر جلياً في كتابه (أين يكمن الخطأ)، وأيضاً في كتابه الموسوم بـ "الإسلام والغرب"، وكتاب "أزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإرهاب غير المقدس" إذ يحاول ملياً خلال طرحه لأفكاره تأليب الرأي العام الغربي على الإسلام، لأنه يشكل خطرًا على مستقبل الغرب ووجوده ـ كما تتسم جميع كتاباته الفكرية بالدفاع عن فكرة "الخطر الأخضر" القادم إلى الغرب من الإسلام، محاولاً تثبيتها وترسيخها لدى الرأي العام الغربي.

- **Fisher Scott, Axis of Evil World Tour: An American's Travels in Iran, Iraq and North Korea, 2011.**

في هذا الكتاب «جولة في محور الشر العالمي: رحلات أميركي في إيران والعراق وكوريا الشمالية»، يعكس كاتبه فيشر سكوت تنامي النزعة العنصرية الغربية، والأمريكية بالخصوص، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهي النزعة التي باتت تقسم العالم إلى محورين: الخير مجسدًا في الغرب، مقابل الشر مجسدًا في الآخر، وهي المقولة التي جسدتها الاستراتيجية الأمريكية في عهد بوش الأب «من ليس معنا فهو ضدنا».

ثانيًا: محور تقييم الدراسات النقدية

- **نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة عاطف عبد الحميد، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م).**

يعتبر نعوم تشومسكي أبرز الوجوه الأكاديمية الأمريكية تمردًا على المركزية الغربية وممارساتها المتوحشة ضد شعوب العالم، وهذه النزعة النقدية نجدها في العديد من كتبه، والتي تشكل أهم المداخل النقدية التي اهتمت بتعرية الموقف الاستعلائي الأمريكي بالخصوص.

- **فريد زكريا، عالم ما بعد أمريكا، ترجمة: بسام شيحا، (بيروت: الدار العربية للعلوم "ناشرون"، ط 1، 2009م).**

في هذا الكتاب يتحدث فريد زكريا عن نهاية الإمبراطورية الأمريكية الماسونية، لتفسح المجال لقوى دولية أخرى صاعدة، وهو ما يبشر بنهاية الهيمنة الأمريكية على العالم، واستعادة المجتمعات الإسلامية سيادتها في امتلاك مستقبلها.

- **نبيل شعث، "الهيمنة الأمريكية: الجذور التاريخية والعواقب"، 2002م.**

تتبع هذه الدراسة مسار السياسة الاستعلائية الغربية بقيادة الولايات المتحدة، لتؤكد فكرة تجذر النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي، وانعكاسها على مستوى استراتيجياته في الهيمنة الاقتصادية الفكرية والاجتماعية. وتلتقي هذه الدراسة مع البحث في فكرته المحورية المتمثلة في "ظاهرة الاستعلاء الغربي" لكنها تبقى عامة وشاملة، كما أنها لا تتقاطع مع هدفه الأساسي، وهو إبراز أثر هذا الاستعلاء على الحوار الإسلامي الغربي.

- **صباح البغدادي، "الشرق والغرب: وهم الحوار وحقيقة الصراع"، 2004م.**

كان الهدف الأساسي الذي ركزت عليه الكاتبة في هذه الدراسة هو التشكيك في جدوى الحوار مع الغرب، وبيان زيف الدعوات التي يطلقها الغرب للحوار مع غيره من المجتمعات الشرقية. ولتأكيد أطروحتها، تعود الكاتبة إلى استقراء الوقائع والأحداث التاريخية الدامية التي طبعت علاقة الغرب بالشرق، بدءًا من الحروب الصليبية وانتهاءً بالاستعمار، لتستنتج بذلك ثبات النهج الغربي التسلطي ونزوعه نحو الهيمنة الدائمة. وهذه الدراسة على أهميتها وقربها من البحث، تفترق عنها بشكل كبير. فالبحث يفرق ابتداءً بين شقين متناقضين من مكونات الغرب الفكرية، ومن ثَمّ يرى أن الحوار أمر ممكن بل قائم بين التيارات التي يمكن وصفها بالمنفتحة في الطرفين معًا.

- **أحمد عيسى، "حرب القيم" 2006 م.**

تركز هذه الدراسة على الصراع الدائر بين الغرب والشرق، وجنوح الغرب نحو تأييد قيمه الحضارية التي يدعي تفوقها على القيم الإسلامية، واصماً هذه الأخيرة بالفساد، متهماً إياها بإنتاج خطاب الكراهية والتعصب.

- **محمد عوض هزايمة، "النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي"، مجلة المنارة، المجلد 15، العدد 1، 2009 م.**

يناقش هذا البحث نفس الإشكالية التي تقدمت بها ويصب في نفس الفكرة المتمثلة في نزوع الغرب نحو رفض قبول الآخر، واعتباره أدنى مستوى منه في سلم الحضارة الإنسانية. والبحث على أهميته فهو يتسم بالعمومية، ويركز بشكل خاص على الجانب السياسي، كما أن صلته بالجانب الفكري تبقى ضعيفة، فضلًا عن عدم اهتمامه بتأثير هذه النزعة الاستعلائية في الحوار الإسلامي الغربي.

- **أطروحة دكتوراه بعنوان: "العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة" لسعيد حفظاوي، جامعة باتنة 1، 2017-2018 م.**

تتمحور الأطروحة حول السؤال التالي: ما الاحتمالات المستقبلية المتعلقة بنمط العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب؟ وبموقعها المستقبلي على سلّم الزعامة الدولية في ظل المتغيرات الدولية لعالم ما بعد الحرب الباردة؟ اهتم الباحث في هذه الأطروحة بإشكالية الحوار والصراع بين العالم الإسلامي والغرب من ناحية القبول والرفض للحوار مع الآخر، وكذا مصير حوار الحضارات الذي يهمنا في هذه الرسالة. وهذه الدراسة مهمة لكنها توسعت في مجال العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، بينما يسعى هذا البحث إلى إبراز الأثر السلبي للاستعلاء الغربي على الحوار الحضاري.
البحث الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات بعنوان: "من حوار الحضارات إلى حضارات الحوار –رؤية تقييمية" تأليف: زهير سوكاح، ديسمبر 2018 م.

يقترح البحث ضرورة تجاوز النظرة النمطية عن الذات والآخر، باعتبارها أهم موانع الحوار الحضاري الفعلي، وذلك فقط عبر حوار ذاتي كخطوة أولية، وتقديم نقد صريح حول مختلف الإشكالات المطروحة ضمن نفس الحضارة أو علاقتها مع الاخر الحضاري، والانتقال من حالة (حوار الحضارات) إلى حالة (حضارات الحوار).

تاسعاً: خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة

والمقدمة فيها:

- فكرة البحث.
- أهمية الموضوع.
- أهداف الموضوع.
- أسئلة البحث.
- فرضية البحث.
- منهج البحث.
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.

تمهيد، ويشتمل على:

- تعريفات أولية.
- الأبعاد الدلالية للاستعلاء ومرادفاته في القرآن الكريم.
- الأبعاد الدلالية للاستعلاء في الفكر الغربي.

الفصل الأول: خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي: الرواد والنظريات

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظرية صدام الحضارات

- المطلب الأول: اعتبار الحضارات الأخرى خطراً
- المطلب الثاني: اعتبار الحضارات الغربية سيدة الحضارات الأخرى
- المطلب الثالث: النزعة الاستعلائية للثقافية الغربية

المبحث الثاني: نظرية نهاية التاريخ

- المطلب الأول: نهاية التاريخ والإنسان الأخير
- المطلب الثاني: الصراع من أجل الاعتراف

- المطلب الثالث: التغييرات في موقف فوكوياما الفكرية

المبحث الثالث: نظرية الفوضى الخلاقة

- المطلب الأول: أيديولوجية الفوضى الخلاقة
- المطلب الثاني: الديمقراطية أداة للتفكيك

الفصل الثاني: تداعيات الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أثر الاستعلاء على الموقف الغربي من الحوار الحضاري.

- **المطلب الأول: أسباب رفض الغرب الحوار مع المسلمين.**

1. النظرة الذاتية والمركزية الغربية.
2. الإعلام الغربي وتسييس نظرته للإسلام.
3. قصور مرجعية التنوع الثقافي ورفض التعددية.
4. العداوة للإسلام والمسلمين.
5. التدخل الغربي وفرض هيمنته على العالم.
6. تضليل المفاهيم الإسلامية.
7. الخوف الغربي من الإسلام.

- **المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي.**

1. الاستفادة من الحضارة الإسلامية.
2. تصحيح الصورة الإسلامية.
3. التعددية الثقافية.
4. وحدة الأديان.

المبحث الثاني: أثر الاستعلاء على الموقف الإسلامي من الحوار الحضاري.

- **المطلب الأول: أسباب رفض المسلمين الحوار مع الغرب.**

1. النظرة التمجيدية والأنا الحضارية.

2. الغربوفوبيا.
3. الحركات المناهضة للتيارات الفكرية.
4. غزو العقل الغربي للعالم الإسلامي.
5. قضية فلسطين.
6. العلو الإيماني.

- **المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي.**

1. استراتيجيات الحوار المنبثقة من الدين الإسلامي.
2. المشترك الحضاري الإنساني وعدم احتكار المنجز الحضاري.
3. قضية العدالة والإنصاف.

الخاتمة: وتشتمل على ما يأتي:

- **النتائج.**
- **التوصيات.**

تمهيد

يحيلنا عنوان هذا البحث إلى مسألتين منفصلتين ومتلازمتين في نفس الوقت: الخطاب الاستعلائي للحضارة الغربية من جهة، وأثر هذا الاستعلاء في الحوار الغربي الإسلامي من جهة ثانية. وهذا العنوان بشقيه يضعنا أمام واحدة من المعضلات المزمنة في علاقة الغرب بالشرق عمومًا، وعلاقة الغرب بالإسلام والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، وهي تلك الرغبة الجامحة المتأصلة في الوعي الغربي نحو الهيمنة والسيطرة والنزعة الفوقية، وهي ظاهرة تاريخية لازمت التاريخ السياسي الغربي في مختلف مراحله التاريخية.

كيف نفهم هذه الظاهرة؟ وما هي أسبابها وخلفياتها التي تتغذى عليها وتعمل على استدامتها؟ وما مظاهرها وتجلياتها؟ تلك هي بعض الأسئلة التي سنحاول بسطها من خلال هذا التمهيد وبقدر كبير من الإيجاز.

بداية، يجب التذكير بأن "الاستعلاء" سلوك بشري هو ظاهرة إنسانية عامة متجذرة في التاريخ البشري كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم، وهي مرتبطة أساسًا بنزوع الإنسان نحو التمرد على الإرادة الإلهية، وعدم الاستجابة لدعوات الرسل المتكررة عبر التاريخ إلى إفراد الله بالعبودية والإقرار بألوهيته في الأرض؛ لذلك تضعنا الآيات القرآنية -كما سيأتي ذكره- أمام هذه الحقيقة التاريخية الثابتة، وهي أن الاستعلاء مفهوم ديني في جوهره، وهو يأتي دومًا مقترنًا بالتمرد على الخالق ومنازعته في ربوبيته وألوهيته، وهذا المعنى كثيرًا ما يرد في القرآن الكريم بدلالاته المختلفة التي تشترك جميعها في أصل التمرد كالاستكبار، والعتو في الأرض، والطغيان، والاستغناء، وما في حكمها من الألفاظ القرآنية التي تحيل إلى العصيان والكفر والجحود، وحتى منازعة الخالق في ألوهيته.

وهذا المفهوم بجوهره الديني قد يأخذ تجليات ومظاهر متعددة، وهي من لوازم الاستعلاء التي تأخذ أبعادًا سياسية واقتصادية واجتماعية ومعرفية وحتى نفسية.

إن هذه المعاني المتشعبة يصعب استقصاؤها في هذا التمهيد الذي لا يتجاوز توضيح بعض المداخل الأساسية والمفاهيم المفتاحية التي لا غنى عنها في فهم مشكلة البحث الأساسية من حيث هي ظاهرة معقدة ومتجذرة في التاريخ، وليست مجرد حالة عرضية.

كما نسعى في هذا المدخل إلى وضع ظاهرة الاستعلاء الغربي في سياقها الديني تحديدًا من خلال البحث في دلالاتها الفلسفية كما هي متأصلة في الكتابات الغربية، ومن خلال تجلياتها المعرفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بالقدر الذي يسمح بالكشف عن الجوهر الديني لمفهوم الاستعلاء الغربي، تمامًا كما يرد في مفهومه القرآني، ولا شك أن هذا المدخل الاستكشافي المقارن قد يسعفنا في فهم أكثر دقة وموضوعية لأزمة الحوار الإسلامي الغربي من حيث أسبابه ودوافعه، وآلياته وتداعياته.

أولًا. تعريفات أولية

1. مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة من **"خَطَبَ"**. يقول ابن منظور: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابًا، وهما يتخاطبان"[1] **والخَطْبُ:** "الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، وفصل الخِطَاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب"[2].

2. مفهوم الاستعلاء وما في حكمه من الألفاظ:

الاستعلاء لغة: من **"علا"**[3] و**"يعلو"**، و **"عُلُو"**: "العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واوًا أو ألفًا، أصل واحد يَدُلُّ عَلَى السُّمُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، لَا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ. وَمَنْ قَهَرَ أَمْرًا فَقَدِ اعْتَلَاهُ

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، مادة: (خطب)، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1119) ص، 1194.

[2] الأصفهاني: الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مادة: (خطبُ)، (د.م، دار القلم – الدار الشامية، ط 4، 1430ه-2009م)، مج 1، ص 286.

[3] **علا:** "علو كل شيء وَعِلوه وعَلوه وَعُلاوته وعاليه وعاليته: أرفعه. **والعَلاءُ:** الرفعة. وعَلا النهار واعتلى واستعلى: ارتفع. **والعلو:** العظمة والتجبر. والله عز وجل هو العلي المتعالي العالي الأعلى ذو العُلا والعَلاء والمعالي. ويقال: هو الذي عَلا الخلق فقهرهم بقدرته. وأما **المتعالي:** فهو الذي جل عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين، وقد يكون المتعالي بمعنى العالي". **ابن منظور: لسان العرب**، مادة (علا): ص 3087-3089.

وَاسْتَعْلَى عَلَيْهِ وَبِهِ، كَقَوْلِكَ اسْتَوْلَى"[1]. وكذلك يحمل كل معاني العظمة والتجبر والقهر والطغيان والاستكبار.

أما في الاصطلاح: فقد عرّف محمد هزايمة **"الاستعلاء في الفكر الغربي"** بمعنى: الفوقية والدونية، وهو: "صفة متأصلة في نفسية الإنسان تميل به وتدفعه إلى التفرد والسيطرة والهيمنة وحب الظهور على الآخر، فتقيده بالقيود وتكبله وتشرف عليه وتتعهد أحواله وتحصي له أعماله، وهي عقدة إذا تأصلت في فكر الإنسان أكسبته صفة العداوة التي تلازم سلوكه، وتورثه عدم الثقة بالآخرين"[2].

3. مفهوم خطاب الاستعلاء الحضاري:

يُوظف هذا المفهوم في الكتابات المعاصرة للدلالة على النزعة الفوقية التي تطبع علاقة الغرب بغيره من شعوب العالم، وهي علاقة عكسية تقوم على الأخذ لا العطاء، والاستلاب لا الاستيفاء، والصراع لا الوفاق، والعنصرية المتمركزة حول الذات الغربية، والهيمنة على الآخر غير الغربي، ما يؤدي إلى تهميشه ثقافيًا وحضاريًا. وبالمعنى ذاته، يُعَد الخطاب الفكري الغربي خطابًا ذا نزعة ذاتية متمركزة حول "الأنا" الغربية، المبنية على الاستعلاء المطلق في الوصول للأهداف والغايات الاستعمارية.

4. مفهوم الحوار الإسلامي الغربي:

نحن أمام مفهوم ذي بُعدين: الأول ظاهري متعارف عليه يراد ترسيخه في الأذهان، ويراد به التعارف والتفاهم والتقارب والتعاون والتصالح والتفاعل مع الآخرين، مع ضرورة الاحتفاظ بجو من الاحترام المتبادل والمعاملة بالتي هي أحسن، ويعتمد على فكرة الوصول إلى الأهداف المشتركة[3]. والثاني بُعد خفي لا يظهر أمام الجميع، مختفي وراء أقنعة دعاوي الحوار القائم على التبادل، لكنه في حقيقته قائم على السيطرة والقيادة المتفردة والإيهام لاستغلال الآخر. وتشير الدراسات الكثيرة التي صدرت حول موضوع الحوار الإسلامي الغربي إلى نوع العلاقة القائمة بين الشرق والغرب، وهي علاقة قائمة على فكرة الصراع لا الحوار، وذلك لما يحمله من أفكار عنصرية.

---

[1] زكريا: ابي الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مادة: (علو)، (د.م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 395ه)، ج: 4، ص 112-113.

[2] هزايمة، "النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي"، **مجلة المنارة، م15، ع1، ص 104.**

[3] يُنظر: الحسن: يوسف، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات**، (أبوظبي: المجتمع الثقافي، ط1، 1997م)، ص 5-15.

ثانيًا: الأبعاد الدلالية للاستعلاء ومرادفاته في القرآن الكريم:

إن الله عز وجل ضرب في القرآن الكريم العديد من الأمثلة عن تجارب الأمم السابقة التي وقعت في آفة الاستعلاء والاستكبار والعتو، وذلك لأخذ العبر والعظة والتحذير من الوقوع في مثل هذه الموبقات التي تسببت في كثير من الدمار والخراب، والمؤدية إلى ضعف الأمة وانحلالها.

وسنتطرق في هذا المدخل التمهيدي إلى أهم الأبعاد الدلالية المرتبطة بمفهوم الاستعلاء والألفاظ المجانسة له في المعنى بغرض تسليط الضوء عليها، ومعرفة معالمها وسماتها وانعكاساتها على الأفراد، وسنقتصر على أربعة منها، وهي: البعد الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

1- البعد الديني:

لقد أشار القرآن لظاهرة الاستعلاء والتعالي في كثير من المواضع بدءًا من قصة استكبار الشيطان منذ نشأة الخليقة، مرورًا باستكبار الأقوام والأفراد عبر القرون الزمنية. ولو تتبعنا قصة استكبار الشيطان واستعلائه على ربه لوجدنا بأنها مرت عبر مراحل متعددة تجاوز فيها الحد الأكبر من الطغيان والعتو عن أمر الله، فقد استنكف الشيطان أن يسجد لآدم عليه السلام؛ لأنه كان ينظر لنفسه على أنه أعلى درجة، وأن جنسه المخلوق من النار أفضل من جنس آدم المخلوق من الطين. وقياس تشبيه الشيء بالشيء قياس فاسد، حين قال: **(قَالَ أَنَا خَيْرٌ** مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**)** (الأعراف: 12). فقد استعلى وتمرد على الله بسبب إعجابه بالعنصر الذي خُلق منه، **(**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ **وَاسْتَكْبَرَ** وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)** (البقرة: 34).

أما استكبار الأمم والأقوام فقد كان قوم نوح أكثر من غيرهم ظلمًا وطغيانًا (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ **وَأَطْغَى)** (النجم: 52). وتتكرر قصة الطغيان مرة أخرى مع قوم هود عليه السلام، بسبب كفرهم، وعتوهم، وفسادهم في الأرض لقوله تعالى: (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**)** (الأعراف: 65).

أما قوم عاد فقد كانوا أشد عنادًا واستبدادًا، وأكثر جدالًا؛ لأنهم كانوا يريدون العلو والخلود في الأرض حتى أهلكهم الله بالعذاب لقوله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ **فَاسْتَكْبَرُوا** فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**)** (فصلت: 15). هكذا يقترن الطغيان والاستكبار على الله وعدم الاستجابة لدعوة رسله في قوم نوح وعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط باستضعاف أتباع الرسل واحتقارهم.

أما فرعون فقد ضرب الله به مثلاً في الاستعلاء والاستكبار وذلك حين نسب لنفسه صفة الربوبية حين قال: **(**أَنَا رَبُّكُمُ **الْأَعْلَىٰ)** (النازعات: 24). وأيضًا نسب فرعون لنفسه الألوهية مستغفلًا قومه متحديًا علو الله بقوله: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ

فَاجْعَل لِّي صَرْحًا **لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ** وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (القصص: 38). كما أضاف القداسة لنفسه في الأقوال والأفعال. وهذا قمة في التعدي، والتجاوز في الحدود، والاستكبار الذي كسا قلبه لقوله تعالى: **(وَاسْتَكْبَرَ** هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (القصص: 39). إن قصة فرعون تعالج محورًا مهمًّا في الصراع العقدي الذي تجلى في موقفه من موسى عليه السلام، ورفضه الاستجابة لدعوة التوحيد والهداية.

ومن هذا القبيل أيضًا استكبار قريش عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم كانوا يدركون أنهم على غير حق، وأن هذا النبي جاء من الله عز جل حاملًا معه رسالة وهي الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام والأوثان، وإقامة العدل بين الناس، وإتمام مكارم الأخلاق والفضيلة، فنجد أن قريشًا رفضت ذلك ووقفت في وجه النبي استكبارًا وعنادًا، بحجة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بشر مثلهم، وإنما حملهم على ذلك خشية أن ينتهي عهد الوثنية والأصنام والأساطير المتعلقة بمصالحهم الاقتصادية والشخصية، فتمسكوا بالشرك وكبر عليهم التوحيد الخالص الذي دعاهم إليه النبي الكريم.

والملاحظ أن الاستعلاء الديني العقدي هو علة مثل بقية أنواع الاستعلاء، فهو يسعى إلى استضعاف البشر والاستكبار عليهم واستعبادهم. وهذه قاعدة مطردة فلا يكون الاستكبار إلا مع الكفر، وحيث وجد هذا النوع من الاستكبار لازمه استضعاف الآخرين من باب التأله عليهم.

2. البعد الاجتماعي:

إن الله عز وجل بعث للأقوام السابقة رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فحين يأتي الرسول ليبلغ الرسالة التي أيده الله بها نجد قومه ينقسمون إلى قسمين: قوم مترفون مستكبرون على المستضعفين، وقوم مستضعَفون في الأرض يتبعون المستكبرين في حياتهم حتى ينساقوا إلى العذاب الشديد، نتيجة اتباعهم لهذه الفئة المتجبرة والمتسلطة في الأرض.

ولو تأملنا في آيات القرآن الكريم لوجدنا أن جميع دعوات الرسل قوبلت بالرفض والاستنكار والاستكبار والاستضعاف والاستهزاء والسخرية من هؤلاء الرسل. فحين يصلهم الحق والهداية تجدهم يصدون عنها، مع أنهم يعرفون أن الأنبياء والرسل على حق وهم على باطل، وهذا نتيجة استعلائهم وكبريائهم الذي منعهم من رؤية الحق والصواب.

ونتيجة لهذا الاستعلاء، برزت في المجتمعات مسألة الطبقية الاجتماعية التي تسببت في حرمان الإنسان من كافة حقوقه وما يلحقه من ظلم وفساد في الأرض، والقرآن الكريم جاء ليستوصي بتلك الفئة المستضعفة لإزالة الطبقية الاجتماعية وليحل محلها التوازن الاجتماعي الذي

حرص الإسلام على تطبيقه في المجتمعات الإنسانية. وقد تحدث القرآن الكريم مليًّا عن نماذج من هذا الاستعلاء الاجتماعي، منها قصة قوم نوح عليه السلام، وكانوا أشد استكبارًا واستعلاءً حين دعاهم نوح إلى عبادة الله وحده فقابله الكبراء هم وأشرافهم بالاستهزاء والسخرية والازدراء كما في هذه الآيات: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) (هود: 27). (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ **سَخِرُوا** مِنْهُ) (هود: 38).

قال تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) (هود: 59). وهذا المشهد يتكرر مع قوم شعيب عليه السلام: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) (هود: 91).

لقد ذم الإسلام مظاهر السخرية والاستهزاء بالآخرين لما يترتب عليه شيوع الأخلاق الفاسدة، فيجعل بعضهم يتعالى على بعض، ويستكبر كبيرهم على صغيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وغنيهم على فقيرهم، ومن ثَم يفقد الناس الشعور بالأمن والاستقرار، ويصبح المجتمع عبارة عن طبقات تستعلي إحداهما على الأخرى وتبطش بها وتتسلط عليها، وهذا السلوك يجسد التجاوز في الحد والطغيان: (إِنَّ الَّذِينَ **أَجْرَمُوا** كَانُوا مِنَ الَّذِينَ **آمَنُوا** يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) (المطففين: 29-33). هكذا يؤدي الاستكبار إلى الطبقية والتفاوت الاجتماعي، وينتج عنه علاقة تحقير واستعباد واستعلاء على الناس واستضعاف واستغلال وتمييز اجتماعي يصبح معه المجتمع عرضة للظلم والفساد في مختلف ميادين الحياة.

إن الاستعلاء الاجتماعي مرتبط بفكرة الإخراج من الأرض والفساد فيها، فها هو فرعون أخذ يستضعف طائفة من أهل مصر ويطبق عليها أبشع أنواع الظلم في الأرض، المتولدة في احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم وسوء معاشرتهم وبث العداوة والبغضاء في قلوبهم، وذلك عن طريق القسوة والقوة التي تلحق بهم الضرر والأذى وذلك على مختلف المستويات، بدءًا بظلم الأفراد الذي يتجلى من خلال الانفراد بالرأي والابتعاد عن الآخرين، وإلغاء المشورة، وسلب الحرية وسحق الكرامة الإنسانية. وقد توسع نطاق الظلم ليشمل الجو الأسري حين ابتكر طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة لذا بدأ يذبح الأطفال ويستحيي النساء إلى أن انتقل في ظلمه إلى مدى أرحب وأوسع في المجتمعات: (إِنَّ فِرْعَوْنَ **عَلَا** فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا **يَسْتَضْعِفُ** طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: 4).

ومن مظاهر الاستضعاف التي شجبها القرآن الكريم ظاهرة الاتباع، حيث يستجيب الضعيف ويخضع للقوي دونما تفكير في العواقب وما يترتب على ذلك من تبعات وخيمة في الآخرة: (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ **اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا** فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ(47) قَالَ الَّذِينَ **اسْتَكْبَرُوا** إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) (غافر: 47-48).

يقول الطبري: فرعون حين أمر بجمع السحرة لمواجهة موسى عليه السلام، قال لهم: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ **اسْتَعْلَىٰ**) (طه: 64) بمعنى؛ قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره. فهو يظن أن من يمتلك العدة والأعداد فإنه يفلح ويتفوق على حليفه، وهذا ليس بالضرورة؛ فإن الله عز وجل أيد موسى بمعجزة العصا ليدافع عن نفسه في حق هؤلاء المستعلين المتكبرين.

3. البعد السياسي

إن للاستعلاء بُعدًا سياسيًّا يهدف إلى السيطرة على الأرض والاستيلاء عليها واستنزاف الشعوب واستبعادهم وإرساء قواعد الحكم فيها خارج حكم الله وإرادته وعبادته. ومن خلال تتبع هذه الفكرة في القرآن الكريم نجدها أكثر تمثيلاً في مخاطبة فرعون لقومه لصدهم عن الاستجابة لدعوة موسى عليه السلام: (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) (طه: 57) (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (الشعراء: 34-35)

لقد أراد فرعون أن يموه على قومه ليستنهض مشاعرهم ويكون كلامه مؤثرًا في قلوبهم، فنجده ينقل الفكرة من البعد الديني إلى البعد السياسي، مدعيًا أن موسى إنما جاء لإخراجهم من الأرض والاستيلاء عليها، مستغلًّا بذلك طباعهم وميلهم إلى أوطانهم التي يصعب الخروج منها ومفارقتها كما ورد في تفسير السعدي[1].

ويضعنا القرآن الكريم في هذا السياق أمام مشهد حي من مشاهد استبداد فرعون، برفضه قبول النصيحة والرأي من أحد رعاياه، وهو المشهد الذي وثقه القرآن في قصة الرجل المؤمن الذي اعترض على قتل موسى عليه السلام: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ(26) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ **مُتَكَبِّرٍ** لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

---

[1] يُنظر: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423ه-2002م)، ص 508.

رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر: 26-29).

كما أنهم لا يحبذون من يخالف رأيهم أو يقولون كلامًا يخالف قصدهم، فكأنما يجعلون عقولهم في أعينهم، ويتبعونهم في كل أمورهم، ولو لم يكونوا بهذا الوصف لما كانوا طغاة مستبدين وفراعنة مجرمين[1].

4. البعد الاقتصادي:

هذا نوع آخر من أنواع الاستعلاء والتعالي الخاص بالأموال، وقد جسدها القرآن الكريم من خلال شخصية قارون وكل من سار على نهجه، سواء كان فردًا أم جماعة أم حتى أمة من الأمم. إن ما فعله قارون أشبه بما ارتكبه فرعون مع قومه من استعلاء وطغيان وبغي وفساد وكفر وتكذيب. فالنزعة الاستعلائية جمعت بين أصحاب المصالح الذين تحزبوا كلهم ضد الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام. قال الله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (غافر: 23-24) فقد كان استكبار فرعون وتجبره بسب ملكه وسلطانه، بينما كان استكبار هامان بسبب مؤازرته لفرعون وخدمته، أما بالنسبة لتعالي قارون وبغيه فقد كان بسبب الغنى والثراء والمال والكنوز التي منحها الله له، والتي تستوجب الشكر لله، لكنه استغنى عن ذلك واستعلى وبدأ ينسب الخير الذي وهبه الله له لنفسه ويدعي بأنه يمتلك القوة والجبروت على الفقراء والمستضعفين من الرجال والنساء. ورغم كثرة أمواله وأولاده فإنه مارس أبشع وسائل الظلم والسيطرة والتعدي على حقوق الآخرين، وذلك بسبب تكبره وإعجابه بنفسه: (إِنَّ **قَارُونَ** كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي** ...) (القصص: 76-78).

والملاحظ في قصة قارون أنه كان يحاول بوسعه أن يسخر ماله للصد عن سبيل الله والافتراء على النبي موسى عليه السلام، وأيضًا تعاليه على الناس وخروجه في كامل زينته، ومعه

---

[1] يُنظر: الجلعود: محماس بن عبد الله، **المولاة والمعادة في الشريعة الإسلامية**، (د.م: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1407-1987م)، (232/1).

الخدم والحشم والجواري، وحين رآه الناس تحسروا على ما هم عليه وتمنوا أن يكونوا مثله، لكن الله عز وجل أهلكه وحرمه من النعم التي منحها إياه، فتحولت هذه النعم إلى نقم، وكانت سببًا في عقاب قارون واستحقاقه لسخط الله، نتيجة نظرته الاستعلائية الفوقية على الناس واستكباره على الله عز وجل.

وتأتي قصة الاستعلاء الاقتصادي مقترنة بالاستعلاء الديني والاجتماعي في قصة قوم شعيب، وهو ما كشفه القرآن الكريم من خلال استغلال المستضعفين وهضم حقوقهم المالية: (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ **شُعَيْبًا** ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ **وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ** ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) (هود: 84).

وكقاعدة عامة، يحدثنا القرآن الكريم أن الطغيان المالي يؤدي إلى الطغيان الديني، فالإنسان عندما يصل إلى درجة من الغنى ويغفل عن مصدر هذا الغنى يتجبر على الله ويستغني عن عبادته.

نظرًا لتعدد الأبعاد الدلالية للاستعلاء ومرادفاته في القرآن الكريم فإنه يقتصر على أربعة منها وهي: البعد الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وقد برز البعد الديني للاستعلاء بشكل واضح منذ نشأة الخليقة مرورًا باستكبار الأقوام والأفراد عبر القرون الزمنية. أما البعد الاجتماعي للاستعلاء فهو يؤدي إلى نشر الفرقة والخلاف بين أبناء المجتمع، ويهدد وحدتهم ويضعف قوتهم، ويفرق شملهم. ويتجلى البعد السياسي للاستعلاء فيما فعله فرعون الطاغي مع قومه، وهو أشبه بما يجري في زماننا هذا من مسؤولين وأصحاب مناصب عليا من سيطرة واستيلاء على الأرض والحكم فيها. والبعد الاقتصادي للاستعلاء يتولد لدى الأفراد والمجتمعات نتيجة كثرة الغنى والأملاك، وقد تجسد هذا البعد بصورة جلية لدى قارون الذي حاز على المال الكثير.

ثالثًا: الأبعاد الدلالية للاستعلاء في الفكر الغربي

سبق وأن أشرنا إلى أن الاستعلاء ظاهرة إنسانية ارتبط وجودها بوجود الإنسان على الأرض، وأن أصل الاستعلاء ديني بالأساس، وعنه تتفرع كل أنواع الاستعلاء كما سبق بيانه. والذي يعنينا في هذا المطلب هو الوقوف على دلالة الاستعلاء كما تعبر عنها الكتابات الفلسفية الغربية، التي سنجتهد في استنطاقها على ضوء المفاهيم القرآنية السابقة. ونظرًا لتشعب هذه الدلالات من جهة، وضخامة الكتابات الفلسفية الغربية في هذا المجال من جهة ثانية، نجد صعوبة بالغة في الإحاطة بالحد الأدنى الذي تزخر به هذه الكتابات من نظريات ومذاهب تراكمت عبر التاريخ الأوروبي منذ العهد اليوناني الذي يمثل المرجعية الفلسفية التي عملت أوروبا على استعادتها وتبنيها خلال عصر النهضة الأوروبية، ومرورًا بعصر الأنوار إبان القرن الثامن عشر، وانتهاءً

بالاتجاهات الفلسفية الوضعية والمادية التي بلغت أوجها مع القرن التاسع عشر وما بعده. ولأن عملنا في هذا التمهيد يقتصر أساسًا على فهم الخلفية الفلسفية التي تصدر عنها ظاهرة الاستعلاء التي تميز بها الخطاب الغربي والحضارة الغربية في علاقتهما بالآخر غير الغربي، وسنعمل في هذا التمهيد على إماطة اللثام عن الأبعاد الدلالية لهذه الظاهرة مقارنة بأبعادها الدلالية كما وردت في القرآن الكريم، وسنقتصر فيها على أربعة أبعاد نعتبرها مركزية في الخطاب الغربي، وهي: البعد الديني، والبعد المعرفي، والبعد السياسي، والبعد الاقتصادي. وهذه الأبعاد كما سيأتي بيانه تمثل جوهر الحضارة الغربية، وأخص خصائصها، ومصدر كل أشكال الاستعلاء والهيمنة والإقصاء التي تمارسها في حق بقية الحضارات.

إن الاستعلاء من حيث هو استغناء عن الخالق وجحود لربوبيته ينتج عنه منازعته في خصائص ألوهيته. وعندما يتقمص الإنسان دور الإله ويدعي لنفسه صفات الألوهية، فإنه يجسد معنى الطغيان في أكثر صوره جلاء. في هذا السياق، يضعنا الفيلسوف المسلم روجيه جارودي أمام ثلاثة مفاهيم كبرى تجسد هذا الطغيان: المعرفة **(savoir)**، والحكم **(pouvoir)**، والملكية **(avoir)**.

فبدلًا من عقيدة: ("الله وحده يعلم"، و"الله وحده يحكم"، و"الله وحده يملك") [1] تنتصب ثلاثة ادعاءات كبرى نقيضة: الإنسان وحده يعلم، ويحكم، ويملك. هذه الادعاءات الثلاثة التي تتأسس ابتداء على الاعتراض على مبدأ الألوهية هي أهم المعالم المحددة للاستعلاء الغربي كما سنشرحه في هذه الفقرات المقبلة.

1. البعد الديني للاستعلاء الغربي:

لا يمكن فصل الاستعلاء أيًّا كانت مظاهره وتجلياته عن جحود الإنسان واستغنائه عن خالقه، وتكبره وتجبره عليه. والقرآن الكريم يخبرنا أنه منذ أن أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين صار الناس فريقين: مؤمن أسلم وجهه لله واتجه إليه بالعبودية، وكافر أعرض عن الله، ونازعه في ألوهيته، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل: 36) إن هذه الآية تضعنا أمام مسارين متقابلين متناقضين: الأول مسار الهداية الذي يتطلع إلى السماء، باعتباره مصدر الهداية والرشاد، والثاني مسار الطغيان حيث ينكفئ

---

[1] يُنظر: جارودي: روجيه، **وعود الإسلام**، ت: ذوقان، (بيروت: دار الرقي، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ط، 1985م)، ص 69-103.

الإنسان على ذاته، مستغنياً عن خالقه، ومكتفياً بذاته، ومن ثم يصبح مرجعية لنفسه. هذه الحقيقة القرآنية التي تختصر طبيعة العلاقة القائمة بين الله والإنسان هي ذات الحقيقة التي نجدها بوضوح وجلاء في الكتابات الغربية. ومع أنها تستخدم صيغًا لفظية مغايرة، فإنها تعبر عن المدلول ذاته، بل إن دلالتها تصل إلى حد التطابق مع الدلالة القرآنية. ففي مقابل «الهداية» الإلهية حيث يتطلع المؤمن دومًا إلى الذات العليا مصدر الهداية، يتم التعبير عن هذا المعنى بنزعة **"التعالي"** أو **"التسامي" (Transcendance)** للإشارة إلى ذلك الموقف الفلسفي الذي يتخطى الواقع التجريبي والملموس، والخارج عن نطاق المعرفة المباشرة والمرتبطة بالمادة، ويتجاوزه إلى الأفق المرتبط بالعالم الآخر، بالميتافيزيقا، وبما وراء الطبيعة. وبهذا المعنى يستخدم "جارودي" هذا المفهوم للدلالة عن ذلك الجانب الروحي "المتعالي" و"المتسامي"، المرتبط بالدين، والذي تقصيه الحضارة المعاصرة والفكر الغربي المعاصر من واقع الحياة البشرية[1].

وفي مقابل هذه النزعة المتسامية، تقف فلسفة **"الكفاية"** على النقيض لتشير إلى تلك المذاهب الفلسفية التي ترى أن "الإنسان يقوم وحده"، وأنه "قادر" بنفسه دونما حاجة إلى "الله" أو "الدين والإيمان"، بل إنه شب عن الطوق، فأصبح هو "الإله" ذاته، ومن ثم فهو الذي يضع لنفسه القوانين، وينظم علاقاته السياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية، إلخ، فيطرد الدين من ساحة كل معاملة أيًّا كانت، وعلى أي مستوى[2]. وعند هذا الحد من البيان يتطابق هذان المفهومان مع الدلالة القرآنية كما في قوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ **الطَّاغُوتُ** يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: 257).

إن هذه النزعة الاكتفائية التي تقترن بطغيان الإنسان والتمرد على إرادة الخالق وحكمه، يُعبَّر عنها في بعض الكتابات الغربية بـ **"الفاوستية"** نسبة إلى "فاوست" الذي يتردد الحديث عنه في سياقات مختلفة في الفكر الغربي. ووفقًا لما تقوله أسطورة ألمانية، فإن "فاوست" رجل عاش في ألمانيا بين عامي 1480 و1540. ويظهر أول مرة كبطل في "الكتاب الشعبي" الذي جمع قصصه «مجهول» وطُبع عام 1587. وفي عام 1588 ألف الإنجليزي "مارولي" مأساة تحمل هذا الاسم Faust. كما برز اسم "فاوست" من جديد في ألمانيا مع بداية القرن 18 على يد الفيلسوف الأماني "ليسنج"، صاحب كتاب "تربية الجنس البشري". غير أن "فاوست" "البطل" سيرتبط

---

[1] يُنظر تعليقات عبد الحميد يويو على هامش ترجمته لبحث جارودي، "تأملات حول الاقتصاد الإسلامي"، **مجلة المنعطف، ع 24/23، هامش رقم (1)، ص113.**

[2] يُنظر: جارودي، المرجع نفسه، هامش رقم (2).

ويشتهر على يد الأديب والشاعر الألماني الذي سحره "الشرق" بروحانيته: "يوهان وولفجانج فون غوتة" Johann Wolfgang Von Goethe (1749-1832)، الذي سيعطي لهذا الاسم بعدًا فلسفيًّا وإنسانيًّا بروايته الشهيرة التي تحمل هذا الاسم، والتي كتبها على فترات تمتد من عام 1773، عام صدور الجزء الأول منها، وحتى وفاته عام 1832، عام صدور آخر الرواية.

إن فاوست هو بطل الرواية الذي لا ينفك عن "الطموح" فهو يتطلع نحو الجديد دائمًا، ونحو "التنوع وتحقيق المثالية". وعلى أساس من هذا الطموح الجنوني والنزوع نحو الكمال الذي لن يتحقق أبدًا، لا يجد جارودي اسمًا يترجم به معناه إلى اللغة العربية ويطابقه في معناه المستخدم في الثقافة الدينية الإسلامية غير «فرعون» لاشتراكهما في الطموح والطغيان والتمرد وتجاوز الحدود البشرية[1]، يقول جارودي في تعبيره عن هذا البعد الطغياني المترسخ في الثقافة الغربية: "لقد كانت هناك لحظة في تاريخ الغرب، في زمن افتراضات مارلو، فاوست الأول، الذي قال: (أيها الإنسان، من خلال عقلك القوى، كن إلهًا)، في ذلك العصر كان عمالقة الفكر أمثال غوته وكانط وفيشته أو هيجل يؤمنون حقيقة أن الإنسان يمكنه أن يحل محل الله في حكم العالم"[2].

ونجد هذه النزعة الاكتفائية أيضا عند فريدريك نيتشه وهو يتحدث عن (موت الإله) في كتابه (العلم المرح) حين قال:

"أما سمعتم بذلك الرجل الأخرق الذي، بعد أن أوقد فانوسه في وضح النهار، صار يجري في ساحة السوق ويصيح دون توقف: (أبحث عن الاله! إني أبحث عن الإله!) -ولما كان كثير ممن لا يؤمنون بالإله موجودين هناك بالضبط فقد أثار ضحكًا كثيرًا. هل فقدناه؟ قال أحدهم. هل شرد مثل طفل؟ قال آخر. أم هل يختفي في مكان ما؟ هل هو خائف منا؟ هل أبحر؟ هل هاجر؟ - هكذا كانوا يصيحون ويضحكون جميعًا في ذات الوقت. سارع الأخرق إلى وسطهم واخترقهم بنظراته. (أين الإله؟) صاح فيهم، أنا سأقوله لكم! لقد قتلناه – أنتم وأنا! نحن كلنا هم قتلته! ولكن كيف فعلنا ذلك؟ كيف استطعنا أن نفرغ البحر؟ من أعطانا الإسفنجة لمحو الأفق كله؟ ماذا فعلنا بإبعادنا هاته الأرض عن شمسها؟ إلى أين تسير الآن؟ إلى أي شيء تقودنا حركتها؟ ... مات الإله ويظل الإله ميتًا! ونحن هم الذين قتلناه!"[3]

---

[1] يُنظر: جارودي: روجيه، مرجع سابق، ص115.

[2] جارودي: روجيه، **كيف صنعنا القرن العشرين؟**، ت: ليلى حافظ، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 2000م). ص 89.

[3] نيتشه: فريدريك، **العلم المرح**، ت: حسان بورقية – حسان الناجي، (د.م: أفريقيا الشرق، ط1، 1993م) ص 132.

نلاحظ من خلال هذه الفقرة أن نيتشه أعلن صراحة فكرة (موت الإله) وأن الأوروبيين ليسوا بحاجة إلى إله كمصدر للأخلاق أو القيم أو النظام في الكون، هذا بالإضافة إلى أن البشر هم قتلة الإله على اعتبار أنهم (أسياد الطبيعة وملاكها)[1] وأنهم من يشرعون القوانين الحياتية والتقاليد.

إن فكرة موت الإله عند نيتشه تعني موت التقاليد المسيحية التي كبحت الإنسان ومولد السوبرمان ـــ الإنسان الخارق ـــ المتمركز حول ذاته، وموت الإله قيمة رمزية بمعنى؛ أن المطلقات انتهت، وبدأ مولد الإنسان الجديد الذي يضع مصيره. وهذه الفكرة خلفت أثرًا في القيم الأخلاقية تسببت في انهيار نظام المعايير والسلوك الإنساني والأخلاقي، وقد جاءت لتؤكد ضرورة أن يحل الإنسان محل الإله ويصبح هو سيد الكون والطبيعة، وأنه هو من يضع القوانين وينظمها وفق هواه، إلى جانب إلغاء فكرة الحياة الأخرى، الثواب والعقاب.

ولا شك أن هذا الطغيان المتمرد عن الخالق سينعكس على علاقة الغرب بالآخر من منظور المركزية الغربية "المتألهة" التي تعطي نفسها حق التحكم في كل الشعوب والحضارات التي تعتبرها مجرد لواحق فرعية وتابعة لنفوذها وهيمنتها. إن الغرب هو الذي حدد للإنسان بعده الواحد، وجعله يعتقد بأن رفاهيته مشروطة بتعاسة "الآخر" أي أن الإنسان الغربي وسعادته لا يمكن أن تتم إلا من خلال نهب "الآخر" ونفيه، وتلك هي مهمة الإنسان الغربي في الحياة كما يلخصها (نيتشه):

"امتلاك، قمع، إخضاع واستعباد، واقصاء لكل ما هو غريب وضعيف.. "[2]. ونقل الإنسان من Homo Faber إلى Homo Sapiens إلى Homo Economicus إلى Homo Technicu وصولاً إلى العدمية (نيتشه) وبالتالي غياب طبيعة الإنسان الذي يسمى .Le paradigme E. Morin perdu.[3]. وبالتالي اختزال الإنسان في بعده المادي بسبب اقصاء الأبعاد الأخرى. ليصبح إنساناً ذو بعد واحد بتعبير هربرت ماركوزه.

يقول «جارودي»: "إن الغرب استطاع أن يخلق آلهة مزيفة: العلم، التقنية، المال، الجنس، النمو، ويكون بهذا قد خلق نظام شرك جديدًا وخرافات جديدة استطاعت أن تحول العلم إلى علموية، والتقنية إلى تقنوقراطية والسياسة إلى ميكيافيلية"[4].

---

[1] يُنظر: جارودي: روجيه، مرجع سابق، ص 78.
[2] المرابط، "المركزية الغربية و"نهاية التاريخ"، **مجلة المنعطف، ع5، ص 8.**
[3] يُنظر: .Edgar Morin: Le paradigme perdu: La nature humaine, Le Seuil, Paris 1973
[4] Roger Garaudu: L'Islam vivant, La maison des livres, Alger 1986, p: 23

وقد وضح «شايغان» ذلك بقوله: "من الإفرازات الطبيعية والحتمية لانفصام وحدة الإيمان والمعرفة، العلم والدين. إن الجوهر الداخلي للعدمية يقوم على أن الإنسان ينازع الله، ومن خلال تجريده للنظام الإلهي يضع نفسه مكان الله، ما يجعل في هذه القوة المكتسبة اتجاهًا يطور غريزة التدمير التي كانت خامدة، وقد حصرها فرانز فون بار في أمرين:

- نفي الله والعالم المتعالي.
- وظهور الإنسان الذي بسبب سيادته المطلقة يقيم نفسه في مكان الله"[1].

ويعتبر الغرب الإنسان الغربي هو الإله سيد جميع العناصر، كما يشير إلى ذلك "جارودي" بقوله:

"ألم يناد «فاوست» الإنسان الغربي بقوله: "أيها الإنسان، بدماغك القوي أصبِحْ إلهًا، صاحب وسيد جميع العناصر"[2]. فأصبحت بذلك "أكثر القيم علوًّا وارتفاعًا فقدت قيمتها، ولم تعد تمارس فعاليتها وقوتها البناءة"[3].

لقد أدت فكرة موت الإله إلى موت الإنسان، وموت الإنسان سيؤدي إلى موت التفكير حيث تصبح الحضارة الغربية حضارة مادية بحتة تخاف من التفكير. وهذا ما أكده (نيتشه) حين أعلن أن الحضارة الأوربية "لم تعد تفكر إطلاقًا، بل تخاف من التفكير"[4].

2. الاستعلاء المعرفي: ادعاء امتلاك العلم المطلق: "العلموية"

يمكن تعريف العلموية بأنها المعرفة العلمية الموثوقة فقط وما عدا ذلك فهو مجرد رأي أوهراء[5]. وهي وسيلة لوصف الظاهرة الثقافية التي من خلالها يأخذ العلم دور الدين ويبدأ في وظيفته كالدين ويقدم تفسيرات نهائية[6].

إن العلم بمثابة المعرفة الناتجة عن دراسة طبيعة الأشياء. ويزعم بعض الفلاسفة أن الإنسان يمتلك المعرفة الكافية لتسيير هذا الكون. فالغرب يمتلك نظرة استعلائية تجعله يعتقد بأنه متفوق علميًّا وتقنيًّا في كافة أنماط الحياة، ويعتبر معياره الوحيد للتقدم هو السلطة المهيمنة بالعلم

---

(1) Daryush Shayegan: Qu'est qu'une revolution religieuse? Les presses d'Aujourd' huit, Paris 1982, P: 102.

(2) Roger Garaudu: L'Islam vivant, op cit. P: 22.

(3) F. Nietzsche, Monde du: La Volonte de la puissance, Gallimard, Paris, P: 43.

(4) Nietzsche: op cit, P: 21

(5) يُنظر: Richard N. Williams and Daniel N. Robinson, "SCIENTISM: THE NEW ORTHODOXY" Bloomsbury, Lindon. New Dei. HI. New York. Sydney, 2015, p. 6.

(6) يُنظر: Ibid, p. 195.

والتقنية على الطبيعة وكذلك على البشر. فنتيجة ادعائهم لامتلاك العلم المطلق أدى في نهاية المطاف إلى إنكار وتحطيم الحضارة الغربية لذاتها، حين تركت بُعد المجتمع يصاب بالضمور باسم فرديتها، وتركت بُعد الإنسان المتعالي يضمر باسم وضعيتها. هذه الوضعية التي كانت ترفض كل عودة لسلطة الكنيسة، وحصرت أدوراها في توفير الضمانة للغرب بأنه العرق الأرفع وفي خدمة مشاريعها الاستعمارية الأولى في أمريكا وأفريقيا أو في آسيا، من خلال حملات (التنصير) للوثنيين.

إن هذا البعد المعرفي الذي يجعل الإنسان وعقله وخبرته المصدر الوحيد للمعرفة، أنتج ظاهرة العلموية حيث تحول العلم من وسيلة للبحث عن الحقيقة إلى اعتقاد في العلم الإنساني المستغني عن علم الله.

لقد تعرضت العلموية لنقد شديد من بعض العلماء، وذلك لرفضهم للمصطلح، وأنكروا وجوده من الأساس، والبعض الآخر ينظر إليها على أنها علم فاسد ومجرد فلسفة سيئة، ما أنتج صراعًا قائمًا بين العلموية والدين منذ أن أصبحت فكرة الصراع الأساسي بين العلم والدين معتقدًا أساسيًّا للعلموية الحديثة. بل أصبحت العلموية نفسها ديناً[1].

إن العلموية في العصر الحديث ليست مجرد فلسفة بل امتدت لتطالب بسلطة العلم ليتم التحقق من صحة الميتافيزيقا. كما أنها نوع من الأصولية، الاختزالية التي تحاول أن تقلل من تعقيد الكون وحياة الإنسانية لتتحكم بالعلوم الطبيعية، وكل هذا تفسير فكري خادع[2].

وقد أدت العلموية إلى تضخم الذات الغربية، فأصبحوا على اعتقاد دائم بأنهم يمتلكون سلطة أغنتهم عن كل حكيم يعلمهم؛ لأنهم دائمًا ما يرون أنفسهم على أنهم الأفضل في امتلاك العلم والمعرفة التقنية التي مرجعها النهائي الذاتية، وهذه من الأخطاء التي وقعت فيها أوروبا والتي ساهمت في ترسيخ صورة ذاتية وهمية على أنها سيدة كل الحضارات[3].

وهذه الأصولية العلموية المنحطة هي أحد عوامل تفكك الحضارة الغربية، فتوسيع سلطاتنا وقدراتنا التقنية، دون تأمل في الغايات الإنسانية، إنما يقود إلى تحطيم الإنسان وكوكبه وليس إلى تفتحهما الحيوي. وعلى غرار ذلك فالإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة فإنه لا يمتلكها مطلقًا؛ لأنه

---

(1) يُنظر: Ibid, p. 53.

(2) يُنظر: Ibid, p.186.

(3) يُنظر: حلاق: وائل، **الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**، ت: عمرو عثمان، (بيروت: المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، ط1، أكتوبر 2014م)، ص 51-56.

يدرك تمامًا بأن الله عز وجل هو من يعلم الغيب والشهادة دون سواه {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ **الْمُتَعَالِ**} (الرعد: 9).

3. الاستعلاء السياسي: ادعاء امتلاك السلطة المطلقة

إن السيادة المطلقة تعتمد على فكرة مفادها؛ أن الأمة التي تجسد الدولة هي وحدها صاحبة إرادتها ومصيرها[1]. وقد عبر "بول كان" paul kahn عن الدول ذات السيادة بأنها تلك القدرة الفاعلة في بناء نفسها التي تشبه في جوهرها الخلق الإلهي من العدم. وتشترك السيادة في مضامينها الكاملة مع التوحيد في كثير من الصفات والتي حددها في صفات مرتبطة في حقيقتها مع أسس التوحيد وهي صفة كلية القدرة و الحضور في الزمان والمكان[2].

يُفسر "كارل شميت" Carl Schmitt السيادة بأنها هي الإله المشرع القادر على كل شيء والمتحكم بالعالم حتى "إن قرار الدولة بصفتها كائنًا ذا سيادة أشبه ما يكون بالمعجزة الدينية فلا مرجعية لها إلا كينونتها"[3]، والمواطن هو ممثل السيادة الإلهية الذي لا يمكنه أن يعلو على نفسه ما دام يعيش تحت إرادة سيادية لها ميتافيزيقيتها الخاصة. ما يعني؛ عيشه مع إله آخر وتحت إمرته، فهو الإله القادر على التحكم في حيوات المؤمنين. وهو القادر على صنع القوانين وتشريعها.[4] بمعنى؛ أن "الدولة هنا هي التي تقر الإرادة الإلهية"[5] على اعتبار أنها رب الأرباب وهي من تتحكم بصناعة القوانين وإلزامها على الشعوب، كونها المسيطرة على العالم والمهيمنة عليه. فالدولة تمتلك سلطة ذاتية مستقلة تجعلها محكومة بقواعد أخلاقية عامة تتعالى على سيطرة الأمة وهي سلطة تأويلية[6].

اعتبر "ماكس شيلر" Max Scheler هذه السيطرة سمة من سمات الغرب الحديث (هوسه باكتساب معرفة السيطرة) أي؛ تلك السيطرة التي تخص الذات الإنسانية وليس المادة (المتوحشة) و(البليدة). كما يشير إلى نقطة مهمة وهي أن "الميتافيزيقا الغربية تقوم على وعي بالذات مختلف

---

(1) يُنظر: حلاق: وائل، مرجع سابق، ص 67.
(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 70.
(3) ينظر تمهيد سترونغ لكتاب شميت: Carl Schmitt, The Concept of the Political, Translation نقلاً عن: وائل حلاق، **الدولة المستحيلة**، ص 71.
(4) يُنظر: حلاق: وائل، مرجع سابق، ص 72.
(5) المرجع نفسه، ص 74.
(6) يُنظر: المرجع نفسه، ص 106.

كليًّا، وعلى تفسير للإنسان مختلف تمامًا بصفته صاحب سيادة على الطبيعة بأكملها"[1]. وهو ما أكده الفيلسوف روبرت بويل بعبارته التالية: "الإنسان خلق ليمتلك الطبيعة ويحكمها"[2].

4. الاستعلاء المادي: ادعاء الملكية المطلقة

إذا كانت كل ملكية هي لله، وأن كل إنسان لا ينال منها بعمله إلا حق الانتفاع؛ فإن هذا التصور الإسلامي هو عكس التصور الغربي الذي هو (حق الاستعمال والإسراف) والتعسف في الاستعمال على اعتبار أن المالك له حق التصرف في الممتلكات كما يشاء دون مراعاة لأخلاقيات الملكية. وبخلاف الاقتصاد الإسلامي،يقف النموذج الغربي على النقيض، فهو لا ينظر إلى المقاصد الإسلامية ويتمثل للرأسمالية فقط إن الاقتصاد الإسلامي تحقيق يستهدف التوازن وليس النمو فحسب لأن الملكية وظيفة اجتماعية تلبي مقتضيات الإرادة الإلهية[3]. وبالمقابل، نجد أن الفلسفة الاقتصادية الليبرالية في مبادئها تتبنى الرغبة في تعظيم الربح وتراكم الثروة من أجل ذاتها[4]. لذلك نحن نعيش في ظلم اجتماعي اقتصادي بدلًا من تحقيق العدالة الاجتماعية في الوقت الراهن[5]. فما نشاهده اليوم من صور للعداء والكراهية تجاه الغرب والمتمسك بمصالحه الحيوية ما هو إلا تنديد ورغبة في فك القيود الظلامية التي طغت بها الرأسمالية الغربية أو الاشتراكية.

---

[1] المرجع نفسه، ص 149-151.
[2] المرجع نفسه، ص 153.
[3] يُنظر: جارودي: روجيه، **وعود الإسلام**، ترجمة: ذوقان قرقوط، (بيروت: دار الرقي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1985م)، ص 36-69-70-72-73.
[4] يُنظر: المرجع نفسه، ص 261
[5] يُنظر: المرجع نفسه، 283.

الفصل الأول: خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي: الرواد والنظريات

تمهيد

يهتم هذا الفصل بعرض أهم أطروحات المفكرين والمنظرين، لفكرة الصراع بين الدول والجماعات. وتوضيح مدى تأثير مطارحاتهم الفكرية على السياسة التي ينهجها الغرب في إدارة المجتمعات الإسلامية للسيطرة عليها. ويعد صموئيل هنتنجتون وفوكو ياما من أهم المنظرين لهذا الصراع وأشهرهم على الإطلاق، حيث عملا على بلورة أطروحاتهم بشكل نسقي للدفاع عن فكرة الصراع والصدام الحضاري. لكن هذه النظريات تصنف من قبل بعض المفكرين من النظريات المشبوهة التي لا تنتمي إلى الفلسفة أو العلم؛ لكنها تنتمي حتماً إلى سياسة، حيث تم صياغتها بهدف إدارة السياسة الخارجية والهيمنة على دول الشرق الإسلامية، حتى باتت أطروحاتهم تحكم طبيعة العلاقات الدولية وتخدم المصالح الذاتية للغرب. وبدلًا من أن تسعى الفلسفة في صياغة نظرياتها إلى الإصلاح وخلق ساحة للحوار والتعايش السلمي، نجد نظريات تسعى بشكل حثيث لتدمير البشرية وذلك ببث أفكار تدعو إلى الصدام بين الحضارات أو الخروج بأطروحة تضع نهاية غربية رأسمالية للتاريخ السياسي، أو حتى استعمال القوة والعنف لتدمير العالم. ولفهم أبعاد هذه النظريات وإشكالاتها سنناقش هذه الإشكالات في ثلاث مباحث رئيسة وهي كالآتي:

المبحث الأول: نظرية صدام الحضارات

المبحث الثاني: نظرية نهاية التاريخ

المبحث الثالث: نظرية الفوضى الخلاقة

المبحث الأول: نظرية صدام الحضارات

تنطوي نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون على عدة مغالطات صريحة وواضحة، تؤكد تلك العلاقة الناشئة بين الغرب والشرق على أنها علاقة صدام كطبيعة أولًا وكنتيجة حتمية ثانيًا؛ لأنها تستمد رؤيتها من صراعات المسلمين مع أنفسهم ومع غيرهم، ولا تستمد من الإسلام ذاته أو من حضارته الأصيلة. فقد زرع هنتنجتون فكرة من خلال نظرته التشاؤمية عن الحضارة الغربية مؤكدا باحتمالية سقوطها، وبدلًا من أن يضع الحلول اللازمة للحضارة الغربية يلقي اللوم على الحضارات الشرقية وبالأخص الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفشيوسية

الصينية، ويعتبر ازدهارهما سيشكل خطرًا ومصدرًا للتهديد القوي والمباشر لمستقبل الحضارة الغربية.

ويرى أن المواجهات الأكثر عنفًا ستجمع المسلمين بباقي الحضارات ضد الحضارة الغربية، وسيكون الانقسام الأساسي على المستوى العالمي بين الكبرياء الغربي، واللاتسامح الإسلامي على عدة اعتبارات:

المطلب الأول: اعتبار الحضارات الأخرى خطرًا

يحمل هنتنجتون عداءً وخيمًا للحضارة الإسلامية، فنجده يضع الحضارة الغربية في كفة والحضارة الإسلامية في كفة أخرى، ليرجح الكفة الأولى على اعتبار أن حضارته حضارة تقدم وازدهار، بينما الحضارة الإسلامية حضارة تخلف وتبعية، ولا يتوانى بإلصاق التهم بها، فنجده غالبًا ما يلجأ إلى رسم سياسات مضللة وعنيفة ضد الإسلام، ولا يمكنه التفاعل مع شعوب الحضارات الأخرى. وفي هذا السياق قدم إحصائية تؤكد فكرة الصراع معتبراً أن 81 صراعًا من بين 82 صراعًا هي صراعات بين مسلمين ومسيحيين، وبقية الصراعات بين مسلمين وشعوب أخرى غير مسيحية[1].

إن الحرب الباردة مع الإسلام ــ في نظر هنتنجتون ــ سوف تساعد على تقوية الهوية الأمريكية في وقت حاسم بالنسبة للوحدة الأوروبية، إلى جانب ادعاءاته حول استعداد الغرب لدعم هذه الحرب الباردة مع الإسلام، وهو بذلك يتبنى سياسات التشجيع، مستشهدًا بالمستشرق اليهودي برنارد لويس "رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني"[2]، يبدو أن هنتنجتون من خلال نظريته يتبع سياسات واستراتيجيات ماكرة لمواجهة الحضارة الإسلامية، وهي أشبه بحرب حضارية معلنة من أجل الحفاظ على الهوية الغربية منها:

1. ترسيخ وحدة الهوية الثقافية للولايات المتحدة باعتبارها هوية أوروبية خالصة، والاندماج السياسي والثقافي والاقتصادي والعسكري بينها وبين أوروبا.
2. القضاء على النمو الاقتصادي للدول الآسيوية، للحد من تفوق ثقافتها على الثقافة الغربية.
3. الحد من القوة العسكرية للحضارات الأخرى.

---

(1) يُنظر: حسن: محمد خليفة، **الإسلام والحوار مع الحضارات الأخرى**، (الدوحة: مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، د.ط، 1435ه-2014م)، ص 65.

(2) هنتنجتون: صامويل، **صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي**، ت: طلعت الشايب، (بيروت: سطور، ط2، 1999م)، ص 343-344.

وهذا ما نلمسه في كتاب (صدام الحضارات) لصموئيل هنتنجتون: "الميل الإسلامي إلى القتال والعنف من حقائق أواخر القرن العشرين التي لا يستطيع أن ينكرها المسلمون أو غير المسلمين، ويكرر مؤكدًا: لماذا والقرن العشرون يوشك على الانتهاء نجد أن المسلمين هم الأكثر تورطًا في مزيد من العنف بين الجماعات من شعوب الحضارات الأخرى"[1]، مستشهدًا أن "الإسلام كان دينًا للسيف منذ البداية، وأنه يمجد فضائله القتالية، وهذه النشأة العنيفة مطبوعة في أساس الإسلام. يذكر عن (محمد) نفسه أنه كان مقاتلًا عنيفًا وقائدًا عسكريًا ماهرًا"[2]، وأردف تعليقًا بقوله "لا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن المسيح أو عن بوذا"[3].

ويتمادى هنتنجتون في تدعيم موقفه العدائي ضد الإسلام فيقول: "الإسلام عقيدة **أكثر استبدادية** حتى من المسيحية، والإسلام يمزج بين الدين والسياسة"[4]. وفي تحليلنا لهذه الاقتباسات نجد أن هنتنجتون مصاب بالإسلاموفوبيا والعداء اتجاه الحضارات الأخرى، وبالأخص الحضارة الإسلامية على اعتبار أنها تشكل خطرًا على حضارته الغربية.

المطلب الثاني: اعتبار الحضارة الغربية سيدة الحضارات الأخرى

لقد غالى هنتنجتون في رؤيته العدائية اتجاه الحضارة الغربية، وجعلها في مرتبة السيادة على الحضارات الأخرى، ودعا إلى فرض النموذج الحضاري الغربي على العالم بأسره؛ وأشاد بتقدم الحضارة الغربية وأن الحضارات الأخرى حضارات تخلف وتبعية، وهو ما يعني؛ إنكاره لوجود ثقافات كونية، وحدها الثقافة الغربية هي التي تمثل المركزية وما الحضارات الأخرى إلا تابعة لها، كما يرفض ادعاء الحضارة الإسلامية بالعالمية ويعتبره سببًا للصراع مع الحضارة الغربية.

ونلمس ذلك في كتابه (صدام الحضارات) حين أكد مدى قوة الحضارة الغربية: "الغرب الآن مسيطر بشكل طاغٍ وسيظل رقم واحد من ناحية القوة والنفوذ في القرن الواحد والعشرين"[5] وعلى الرغم من ضعف الحضارة الغربية فإنه يعتبرها القطب الحضاري الوحيد الذي يوجه العالم ناكراً حق الآخرين في الاختلاف الحضاري فهو لا يرضى بالتقاء الحضارات، والملاحظ أن

---

(1) المرجع نفسه، ص 426.

(2) Zakaria, "Conversation with Lee Kuan", p.118: Al-Turabi. "Islamic Awaken. Ing's Second Wave," p.53.See Terrance Carroll, "Secularization and States of Modernity," World Politics, 36 (April 1984), 362-382. نقلا عن: هنتنجتون: صامويل، **صدام الحضارات**، ص 427.

(3) هنتنجتون: صامويل، مرجع سابق، ص 426-427.

(4) المرجع نفسه، ص 426-428.

(5) المرجع السابق: ص 135.

هنتجتون خلال طرحه لفكرة الصراع لا يتوانى عن تذكيرنا بعبء الرجل الأبيض ومسؤوليته الحضارية تجاه العالم.

يُفهم من كلام هنتنجتون أن أي حضارة تدعي العالمية فهي حضارة مضادة ومعادية للحضارة الغربية، ويجب الوقوف في وجهها ومحاربتها، ويصف ذلك محمد خليفة حسن بقوله "إنها العنصرية الحضارية في ذروتها، وفي زمن ينتصر أهله على العنصرية في معركة تلو المعركة"[1].

المطلب الثالث: النزعة الاستعلائية للثقافية الغربية

اعتبر هنتنجتون أن الصراع الذي بين الإسلام والغرب هو صراع أزلي لا يمكن تجاوزه، واضعاً بذلك ختمه على مصير العلاقة بينهما. وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤثر على مسار الحوار الحضاري والتعايش السلمي. إن ما يفسر حكمه هذا هو نزعته العدوانية ضد الإسلام، مستغلًّا فترة الصراع السياسي بين الإسلام والمسلمين، متهمًا الحضارة الإسلامية بأنها هي الحضارة الوحيدة التي جعلت من الثقافة الغربية موضع شك، ويصف الثقافة الإسلامية بالعدو اللدود المعادي للثقافة الغربية، لذلك وجب السيطرة عليها حتى لا تؤثر على حضارته مستقبلاً.

إن ما يلفت الانتباه هنا هو رفض هنتنجتون للتعددية الثقافية، وإمكانية وجود ثقافات كونية أخرى غير الثقافة الغربية، محاولًا المباعدة بين الحضارتين، فنجده ينظر للعالم بنظرة ثنائية (نحن) و(هم)[2]، ونظرة فوقية مليئة بالكبرياء والغطرسة. وإن عبارته التالية: "سنكون حديثين، ولكننا لن نكون أنتم"[3]. تترجم حجم الاستعلاء والكبرياء الذي يوضح طبيعة العلاقة بين الغرب والإسلام.

ومن أجل الدفاع عن أطروحة الصراع الحضاري، اعتمد هنتنجتون فكرة تسييس القيم الحضارية، وبالفعل بدأت السياسة الدولية بتوظيف هذه القيم المسيسة لتبرير اللجوء إلى العنف والتهديد. ولتبرير الأعمال السياسية والعسكرية أيضاً، مثل التدخل في الشؤون الخاصة للدول، ويمكننا أن نستحضر في هذا السياق ما حدث في الصومال حين تدخلت الولايات المتحدة مدعيةً أنها تدخلت لأسباب إنسانية. ونجد من ناحية أخرى توظيف الأمم المتحدة قيمها الاجتماعية محاولة تصديرها إلى كل دول العالم لتشكيل معايير عالمية موحدة تصلح لقياس التطور العالمي، وهي في الحقيقة ليست سوى أداة غربية للسيطرة على ثقافة المجتمعات المنافسة.

---

[1] حسن: محمد خليفة، مرجع سابق ص 65.
[2] يُنظر: هنتنجتون: صامويل، مرجع سابق، ص 340-341.
[3] المرجع نفسه، ص 168.

من وجهة نظري أرى أن هنتنجتون اقترف خطأً شنيعاً حين ربط الصراع برغبة الغرب في فرض قيمه على العالم الإسلامي والاستياء منه، متناسيًا التاريخ العريق الذي يشهد أن الإسلام، والذي كان سبباً في ازدهار الغرب وتقدمه في كافة مجالات الحياة.

المبحث الثاني (نظرية نهاية التاريخ)

ينافح المفكر الأمريكي فرانسيس فوكو ياما في كتابه الموسوم بـ (نهاية التاريخ والأنسان الأخير) عن فكرة مفادها أن الحضارة الغربية هي آخر الحضارات البشرية وبعدها يتوقف التطور التاريخي، وذلك بسبب هيمنة الديمقراطية الغربية والليبرالية على مستوى العالم و التي تشير إلى النقطة النهائية للتطور الأيديولوجي للبشرية[1].

المطلب الأول: نهاية التاريخ والإنسان الأخير

إن خطاب النهاية لفوكوياما في كتابه الموسوم بـ (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) الصادر سنة 1992م، يحمل في ثناياه رسالة متعجرفة، نتيجة بعض الوقائع الدولية كانتصار الرأسمالية والليبرالية على كل الأيديولوجيات وسقوط الشيوعية. وبهذا أفصح طرح فوكوياما عن الغرور والاستعلاء من جانب الغرب اتجاه الآخر.

ويتنبأ فوكوياما بانقسام العالم إلى عالمين، أحدهما لا يزال أسير التاريخ، ومن الصعب التحرر منه والآخر أكمل رحلة التاريخ وفك أسره من حتميته الصارمة. وتجاوز صراع الواقع والمفهوم، فأصبح يتنعم بطبيعة هادئة؛ لأنه حقق الاكتفاء الذاتي بفرض نفسه كالأول في العالم، وعلى الجميع الاعتراف به وبتفوقه واكتماله[2]. واصفًا المواطن النموذجي في الديمقراطية الليبرالية أنه (خاتم البشرية)[3]. ووصف الديمقراطية الليبرالية هي الشكل الأرقى والأسمى كي يصل التاريخ إلى نهايته[4]. وذلك نتيجة لتحول الليبرالية إلى منهج حياة لكل شعوب الأرض، مؤكدًا أن الليبرالية تتطابق ماديًّا ومعنويًّا مع حاجة الإنسان للتطور والبقاء، وهو الحل الأخير للإنسان.

---

(1) يُنظر: خضر: لطيفة إبراهيم، **الإسلام في الفكر الغربي**، (مصر: عالم الكتب، ط1، 2002م)، ص 67.
(2) يُنظر: فوكوياما: فرانسيس، **نهاية التاريخ وخاتم البشرية**، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1، 1993م، ص 12.
(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 16.
(4) يُنظر: فوكوياما: فرانسيس، **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، ت: فؤاد شاهين وآخرون، (بيروت: مركز الإنماء القومي، د.ط، 1993م)، ص 30.

اعتبر فوكوياما أن الحضارة الإسلامية مهما ظهرت عليها علامات القوة إلا أن هذه الحضارة ذات جاذبية محدودة، ولا يمكنها منافسة الديمقراطية الليبرالية "سوف لا يبقى في نهاية التاريخ أي منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية"[1]. ويضيف معتقدًا: "من الصعب أن نتصور عالمًا يكون أفضل جذريًّا من عالمنا، أو مستقبلًا لا يكون بشكل أساسي ديمقراطيًّا ورأسماليًّا"[2]. واصفًا أن معظم مجتمعات العالم الثالث جاهلة عنيفة متأخرة وتخشى من الفقر[3].

ويمكننا اعتبار الجهد الذي يبذله فوكوياما في جعل التاريخ ينتهي عند أمريكا والحضارة الغربية كفخ أيديولوجي ينصبه لقارئه، لفوز الحضارة الغربية بكمال التاريخ حتى تصل لدرجة الأقنوم الفلسفي المطلق، وهذا كلام خطير للغاية. إذن، ماذا تعني نهاية التاريخ عند فوكوياما؟!: "النهاية ليست كمالًا بقدر ما هي استنزاف"[4]. وكل ذلك يؤكد على الطبيعة الفكرية الاستعلائية التي يتمتع بها الغرب مع الحكم بالسجن المؤبد على باقي الشعوب الأخرى.

المطلب الثاني: الصراع من أجل الاعتراف

يقول ألكسندر كوجيف في كتابه الموسوم بـ مدخل إلى قراءة هيجل "كل رغبة إنسانية، أناسية مولّدة للوعي الذاتي وللحقيقة الإنسانية هي في نهاية المطاف متعلّقة برغبة (الاعتراف). والمخاطرة بالحياة التي تتأكد بها الحقيقة الإنسانية هي مخاطرة مرتبطة بمثل هذه الرغبة. فالكلام عن (أصل) الوعي الذاتي يعني الكلام بالضرورة عن الصراع حتى الموت من أجل (الاعتراف)"[5].

إن مفهوم (الاعتراف) لم يخترعه هيجل، فهو قديم قدم الفلسفة السياسية الغربية ذاتها، وهو يستند إلى جانب مألوف تمامًا من الشخصية الإنسانية، ففي الفَصل الرابع عَشر تحت عنوان: الإنسان الأول، يقول فوكوياما: إن محاولةَ فَهم النضال من أجل الاعتراف يتطلب الرجوع إلى

---

(1) المرجع نفسه، ص 205.
(2) المرجع نفسه، ص 71.
(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 103.
(4) المرجع نفسه، ص 14.
(5) ألكسندر كوجيف- Introduction a la lecture de Hegel من كتاب: مدخل إلى قراءة هيجل. نقلاً عن: فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، ص 151.

المفاهيم الفلسفيَّة المختلفة عن الطبيعة[1] منهم: أفلاطون الذي تحدث عن (التيموس)[2] ما دفع الكثيرين من الفلاسفة إلى الاعتقاد بأن التيموس هو أساس الشر على أرض الإنسان[3]، ووصفه ميكافيلي أنه رغبة المجد لدى الإنسان، وهوبس عن اعتزازه وكبريائه، وروسو عن حبه لذاته.

بينما نيتشه الذي تحدث عن الإنسان (كالحيوان ذي الوجنتين الحمراوين)، في اعتقاده أن الإنسان يعلو على كل شيء وهو مخلوق يقوم بالتقييم أي (الخلق)[4]، واهتم كذلك بمظاهر التيموس فقط التي تقود الناس للإعلان بأنهم أفضل من غيرهم، أي إلى "المغالوتيميا"[5] والتي هي أساس الحرب[6].

وينادي فوكوياما الغرب بضرورة توخي الحذر بعد زوال الخطر الشيوعي وعدم الخلود إلى الراحة؛ لأن ذلك سيولد نوعًا من الفراغ الذي يمكن أن يملأه بديل آخر –قاصدًا الحضارة الإسلامية-. وبالرغم من قوله إن الإسلام ذو جاذبية محدودة على سلالة وأمة واحدة، وأنه غير قادر على توليد حركة ذات أهمية ومعنى كوني[7]، ومن جهة أخرى يرى الإسلام هو العدو الذي سيثقل ويعطل النهاية الحتمية للتاريخ المتمثلة في بداية ما بعد التاريخ[8].

ومن هنا نرى تذبذب فوكوياما في تحليلاته واعتماده على كوجيف حينما لا تتطابق أفكاره مع هيجل، وخاصة في الحديث عن صراع الأفكار الذي ينتهي بحصول الإنسان على الاعتراف العام.

المطلب الثالث: التغييرات في مواقف فوكوياما الفكرية

إن فوكوياما من أشهر المنظرين والمتحمسين لفكرة الصراع الحضاري، حيث بدأ مشواره الفكري بالدفاع عن هذه الفكرة، وذلك نتيجة لفكره الاستعلائي الطاغي على كتاباته، لكنه استطاع بعد مرور عقد من الزمن أن يغير مواقفه الفكرية ويفصح عنها مباشرة.

---

(1) يُنظر: **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، مرجع سابق، ص159.
(2) يقصد **بالتيموس:** هو ما يشبه الإحساس الفطري بالعدل داخل الإنسان، فهو المقر النفساني للعدالة ولنسيان الذات، مع كونه مرتبطاً بشكل وثيق بالأنانية الإنسانية. ينظر: فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، ص 174.
(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 181.
(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص 166.
(5) يقصد **بالمغالوتيميا:** هو رغبة الإنسان الاعتراف به كعامل متفوق. ينظر: فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**.
(6) يُنظر: المرجع نفسه، ص 184
(7) يُنظر: المخادمي: عبد القادر رزيق، **النظام الدولي الجديد: الثابت والمتغير**، (د.م: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2003م)، ص144.
(8) يُنظر: السامرائي، "نهاية التاريخ من هيجل إلى فوكوياما"، **مجلة الفيصل، ع243، ص 109.**

لقد تأثر فوكوياما بفلسفة كلٍّ من هيجل وماركس في بناء أفكاره، ويظهر ذلك جلياً في مقدمة كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، إذ أنهى كتابه بفكرة نيتشه المتمثلة في (الإنسان سوبر) وهي غاية فوكوياما (الإنسان الليبرالي) في المجتمعات.

تراجع فوكوياما عما قاله في كتابه الذي خلق جدلاً واسعاً، ووجهت له انتقادات عديدة ما جعله يبرر موقفه ويتدارك أخطاءه في كتاب له بعنوان: " OUR POSTHUMAN FUTURE" مستبدلًا "نهاية التاريخ" بعبارة: لا يمكن أن يكون هناك نهاية للتاريخ ما لم يكن هناك نهاية للعلم، مصححًا فكرته في المستقبل بطريقة أكثر منهجية[1].

وأضاف كتابًا جديدًا في فلسفة التاريخ بعنوان: (بداية التاريخ منذ أصول السياسة حتى اليوم، 2012م)، ركز فيه على بدايات التاريخ وتطورات أنظمة الحكم وصولاً إلى النظام الأمثل. وهي فكرة بديلة عن نهاية التاريخ إثر تفوق الصين في مجال الاقتصاد والمال، ما يؤكد تغيير موقفه من نشر الديمقراطية والليبرالية في العالم.

إن المتتبع لبعض كتابات فوكوياما سيجد تغييرًا واضحًا في أفكاره، وبالأخص حين أعاد النظر في النموذج الأمريكي باعتباره النموذج الأمثل في العالم.

المبحث الثالث: نظرية الفوضى الخلاقة

ظهر مصطلح الفوضى الخلاقة لأول مرة عام 1902م على يد المؤرخ الأمريكي تاير ماهان، وطوره "مايكل ليدين" Micheal Ledeen العضو البارز في معهد "أمريكان إنتربرايز"[2]، والذي برز اسمه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م معبراً عن مصطلح الفوضى بقوله: "التدمير البنّاء هو صفتنا المركزية"[3] وهذه النظرية هي دعوة صريحة إلى الثورة الاجتماعية من أجل إعادة صياغة المنطقة العربية جغرافيًّا وسياسيًّا بهدف زعزعة الأوضاع في

---

(1) يُنظر: Fukuyama: Francis, **OUR POSTHUMAN FUTURE**, farrar, straus and Giroux, New York, 2002, p. 10

(1) **معهد أمريكان إنتربرايز:** يعتبر قلعة المحافظين الجدد، والمهتم بصياغة مشروعات بوش السياسية للشرق الأوسط، يلخص استراتيجية كاملة أعدت للمنطقة العربية. رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، الطبعة الأولى 2012، ص 12.

(2) المنياوي: رمزي، **الفوضى الخلاقة**، (دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 2012م)، ص12.

الشرق الأوسط، انطلاقًا من رؤية صادمة تقود إلى "تصميم جديد لبناء مختلف"[1]، وفق نظام الهيمنة والسيادة الغربية، لتصل بذلك المجتمعات لأقصى درجات الفوضى والاضطراب الحضاري، إضافة إلى اختلاقهم قضية الديمقراطية لتكون منتج التدمير الخلاق[2].

تمثل نظرية الفوضى الخلاقة أحد أهم المفاهيم التي أنتجها العقل الاستراتيجي الأمريكي في التعامل مع القضايا الدولية، والتي صيغت بعناية فائقة من قبل النخب الأمريكية وصناع السياسة في الولايات المتحدة، وتعمل بكل بساطة على ما يسمى بـ "تحليل النمط" وهو شكل مفصل للغاية من عمل الذكاء غير العادي الذي يتطلب الانهيار الكامل لهيكل خلايا العدو[3]، وتفترض هذه الفلسفة وجود خطر من عدو مجهول يهدد الكيان الأمريكي في كل لحظة.

تسعى الولايات المتحدة للحفاظ على تفوقها الأمريكي بأي ثمن كان لتحقيق أمنها واستقرارها وإغراق الآخرين بالفوضى. وتعد الديمقراطية الامريكية من أخطر أدوات هذه النظرية، ويُطلق عليها "نظرية الشر" كونها تتسم بالخداع والتحايل والتلاعب اللفظي في مسماها، وتصميم خطط تكتيكية مدروسة بحذر تسلك مسار الحرب على العقول دون اللجوء إلى العمل العسكري المباشر إلا كخيار أخير. ويؤكد "ليدين": "إذا كنت تريد أن تكون محترفًا في مجال الاستخبارات، فعليك أن تتعلم كيفية الدخول إلى عقول الآخرين"[4].

المطلب الأول: أيديولوجية الفوضى الخلاقة

إن نظرية الفوضى الخلاقة هي أهم استراتيجية تنتهجها السياسة الأمريكية لإدارة المجتمعات العربية؛ وهي نابعة من نظريتين رئيستين: الأولى نظرية "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" التي صاغها فرانسيس فوكوياما وتنبأ من خلالها بانقسام العالم إلى عالمين: عالم غارق في الحروب، وعالم آخر ديمقراطي ليبرالي، والثانية: هي نظرية صراع الحضارات التي أسسها صموئيل هنتنجتون واعتبر أن النزاعات في العالم هي ذات طبيعة حضارية وثقافية، وأن السيادة تبقى لأمريكا وحدها.

وبالرغم من التباين بين النظريتين إلا أنهما يتفقان على مبدأ واحد، يتمثل في فرض السيطرة على المجتمعات الإسلامية، وشن حملة عداء ضدها لأنها مصدر تهديد وخطر على

---

(3) المرجع نفسه، ص 12.
(2) يُنظر: المرجع نفسه.
(3) يُنظر: T. Flynn: Michael, Ledeen: Michael, **"Field of Fight"** St. Martin's, New York, p: 35,36,
(4) يُنظر: Ibid, p: 16.

الحضارة الغربية. وهذه النظريات تضع العالم أمام احتمالين: إما التبعية للأقوى أو الفوضى والدمار.

وتنشط الفوضى الخلاقة في حيز العولمة الرأسمالية التي تعمل بدورها على إزالة القيود أمام القوى الاقتصادية، وغزو العقول من أجل السيطرة على إرادة الإنسان بشعارات خداعة كالديمقراطية وحقوق الإنسان، وإطلاق الصراعات العرقية والعصبيات القبلية، إلى جانب خلق النعرات داخل المجتمعات الإسلامية وبعث الشرخ العرقي وصعود الليبرالية الجديدة للوصول إلى الحكم تبعًا للمصلحة والمنفعة المصطنعة، واللعب بأوتار الأدوات الإعلامية باعتبارها كفيلة بالنيلة من العدو.

ويؤكد ليدين أن الاستقرار هو المهمة الحقيقية لأمريكا بقوله: "التدمير الخلاق هو اسمنا الثاني في الداخل كما في الخارج"[1]، فنحن نمزق الأنماط القديمة وندمرها كي نسير قدمًا نحو الأمام، وفي تصريح لوزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "كونداليزا رايس" أن الولايات المتحدة ستلجأ إلى نشر الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط باسم الديمقراطية، وأنها على استعداد تام لتقديم التنازلات وتحقيق الدعم اللوجستي لمواجهة أعداء سيدة العالم[2]. ونجد كذلك في عقيدة بوش ضرورة إبراز معالم الدولة الأمنية العالمية؛ لأن هناك قوة قادرة على تدمير العدو الافتراضي في كل لحظة.[3]

المطلب الثاني: الديمقراطية أداة للتفكيك

تميل الديمقراطية عادةً إلى تعزيز الفوضى والدمار في المجتمعات، وهي أداة قوية للتلاعب والسيطرة في أيدي عدد قليل من النخب القوية لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، وهي بذلك تشكل تهديدات بالغة الخطورة[4]، ومما لا شك فيه أنها تخلق الفوضى، وعدم الاستقرار الأمني، وتتحكم في صنع القرار نظراً لقدرتها على تغيير السياسات والأنظمة للبقاء على قيد الحياة.

لذلك تحاول أمريكا إظهار قوتها للآخر من أجل تبرير هيمنتها على العالم، والزعم بأنها أنهم أفضل شعوب العالم وأكثرهم ذكاءً وحنكة في مواجهة أعدائهم، وذلك وفق حركات مبطنة تقوم على قناعة دينية عميقة[5] هدفهاإثارة "الفوضى الإبداعية" والسيطرة على العالم[6] ، وجاء أيضًا

---

(1) المنياوي: رمزي، مرجع سابق، ص 31.
(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص21.
(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 92.
(4) يُنظر: Joan Pere Plaza i Font "**Chaos Theory and its Application in Political Science"** p.10.
(5) يُنظر: Ibid, p: 17.
(6) يُنظر: **Constructive Chaos Theory: When Terrorism is of Much Avail to US**

في نفس التصريح لـ "كونداليزا رايس": "إن الوضع الحالي ليس مستقرًّا، وإن الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية هي فوضى خلاقة، ربما تنتج في النهاية وضعًا أفضل مما تعيشه المنطقة حاليًّا"[1]!

وفي ظل سياسة الفوضى الخلاقة والديمقراطية نجحت أمريكا في تفجير بعض المجتمعات من الداخل، ونسف إطار العروبة وخلق النزاعات في الشرق الأوسط، وتفتيت المنطقة إلى كيانات ودويلات، لتفسح المجال للكيان الصهيوني لإعلان الدولة اليهودية تحت سيادتها.

إن الديمقراطية بالنسبة للآخر المتفوق وسيلة يوظفها لأهدافه الاستعمارية مستغلاً طبيعة الصراع القائم في البلد المستهدف (عرقي، ديني، حدودي، مطلب اجتماعي، تصحيح وضع سياسي، اقتصادي...) وعليه تكون الديمقراطية كما أسلفنا الذكر وسيلة لتبرير تدخله[2].

وقد أبدى الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن" إعجابه بكتاب "قضية الديمقراطية" لـشاراتسكي[3] وهو كتاب يكرس فكرة الاستعلاء والتي تتمثل في تقسيمه للعالم إلى "مجتمعات حرة" و "مجتمعات الخوف"، بالنسبة للمجتمعات الحرة يسمح لها بالتعبير عن رأيها بدون قلق بعكس مجتمعات الخوف؛ لأنها لا تزال ضعيفة في نظرهم، وتشمل كافة الدول العربية بالإضافة إلى إيران وباكستان وكوريا الشمالية، كما عد نشر الديمقراطية في "مجتمعات الخوف" أمرا ضروريا لحماية أمن "المجتمعات الحرة" من خطر المشاكل التي ستصدرها لها "مجتمعات الخوف"، لقد أظهر شاراتسكي نوايا خبيثة تجاه "مجتمعات الخوف" من خلال حكمه على الشعوب الإسلامية بأنها شعوباً غير مهيئة للديمقراطية؛ الأمر الذي يستدعي نقل تلك المجتمعات إلى الديمقراطية وفق سياسة أمريكا وخطتها في بناء العالم الجديد[4].

وفي "مجلة التايم" عبر الكاتب "تشارلز كروثامر" Charles Krauthammer قائلًا: أمريكا ليست مجرد وطن عالمي، وهي الأكثر هيمنة وسلطة من أي قوة أخرى منذ عهد روما[5]، وهذا بيان بأن أمريكا صاحبة السيادة العليا والمطلقة، ولا ينبغي لها أن تقدم تنازلات أو اعتذارات،

Thursday 13 October 2016, http://alwaght.com/en/News/70585/Constructive-Chaos-Theory-When-Terrorism-is-of-Much-Avail-to-US

(1) **الفوضى الخلاقة**، مرجع سابق، ص 9.

(2) يُنظر: عبدولي، "الفوضى الخلاقة: ثنائية الأنا والآخر من خلال إشكالية الإسلام والديمقراطية"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، ص 6.**

(2) **ناتان شارانسكي** منشق سوفييتي سابق ووزير شؤون يهود الشتات الإسرائيلي، استقال من حكومة إرييل شارون عام 2005 م احتجاجاً على قرار الخروج من غزة.

(4) يُنظر: المنياوي: رمزي، مرجع سابق، ص 10-11.

(5) يُنظر: المرجع نفسه، ص 65.

أو حتى تبرر موقفها وإن كانت على خطأ؛ لأنها تعتقد أن الاعتذار يشكل منقصة لذاتها المستعلية، واصفة نفسها بكلمات مختلفة: "أمريكا الأمل الأخير للبشرية"، "أمريكا سفينة الأمان، وناشرة الحضارة"[1].

ومن خلال استعراضنا لأهم النظريات وروادها في الخطاب الاستعلائي الحضاري الغربي، يتبين أن هذه النظريات الثلاث لها جذور فكرية مبنية على الاستعلاء المرتبط بفكرة الصراع بين الحضارات، والفوضى الخلاقة؛ وهي في حقيقتها نظرية مدمرة بالنسبة للأوطان والشعوب الأخرى، وهدفها الوحيد أن تنعم أمريكا بالأمن والرخاء، والتمتع بالنفط، وتنعم أيضاً صغيرتها المدللة (إسرائيل) بالراحة والطمأنينة، وخلق مشاكل داخل البلد تدخله في دائرة لا تنتهي من المشاكل والصراعات.

---

[1] المرجع نفسه، ص 66.

الفصل الثاني: تداعيات الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الغربي الإسلامي

تمهيد:

مر حوار الحضارات بعدة محطات، عرف من خلالها الكثير من المعيقات حالت بينه وبين تحقق أهدافه المتمثلة في تحقيق حوار مجدٍ ومثمر، يسهم في إرساء دعائم التعايش السلمي بين مختلف الحضارات. وقد تعددت مسميات الحوار حسب طبيعة القضايا المطروحة فنجد حوار الحضارات، وحوار الثقافات، وحوار الأديان.... إلخ وطبعًا هذه المسميات ما هي إلا مسميات جزئية تندرج تحت مفهوم عام وهو الحوار الحضاري الثقافي.

يتوسع الغرب بهذا المدلول "الحوار الحضاري" جغرافيًّا باعتباره مرجعاً ثقافيًّا وحضاريًّا يؤهله لفرض نفوذه على العالم، وبناءً على صعود نجم الحضارة الغربية تباينت المواقف لدى الحضارتين –الغربية والإسلامية- وانقسمت هذه المواقف إلى فريقين: فريق مؤيد للحوار وداعم له، وفريق معارض للحوار ورافض له.

وفي هذا الفصل سيتم عرض أثر الاستعلاء الغربي على الحوار الإسلامي الغربي، وكذلك آراء بعض المفكرين والساسة والنظريات التي يتبنونها وصولاً لاستراتيجيات ملهمة في عملية الحوار، والتخطيط له بطريقة سليمة لتحقيق الأهداف المرجوة منه، وصناعة قرار حاسم من خلال ما توصلت إليه من نتائج وبعض التوصيات.

المبحث الأول: أثر الاستعلاء على الموقف الغربي من الحوار الحضاري

مواقف الغرب من الحوار الحضاري متناقضة ومتباينة في العالم، وهي مبنية على صراع عقدي ماضوي وأيديولوجي، وتحديداً موقفه من الحوار الإسلامي، ومن خلال هذا المبحث سأدرج كلًّا من الموقفين -المؤيد والرافض- لمبدأ الحوار مع بيان أسباب ذلك.

المطلب الأول: أسباب رفض الغرب الحوار مع المسلمين

يمتلك الغرب ذاكرة تاريخية وعداء موروثا تجاه الحضارة الإسلامية، وهذه الذاكرة الناقمة هي السر الكامن وراء مختلف المواقف والاستراتيجيات الغربية وما تحمله من كراهية وتعصب

وتطرف ووحشية وتعطش لاستنزاف الحضارة الإسلامية، الأمر الذي ولد لديهم تياراً لرفض الحوار مع المسلمين، واختلاق الخطر الإسلامي لأسباب عدة نذكر منها:

1- النظرة الذاتية والمركزية الغربية:

إن ظاهرة الاستعلاء أصبحت تشكل نمط تفكير الغرب وذلك بسبب الذات المتوهمة بأن لها الفضل في نقل القيم الحضارية المثلى من المركز إلى الأطراف الأمر الذي يبرر هيمنتها على المجتمعات الإسلامية المتعطشة لخيراتها وثرواتها.

وتتجلى المركزية الغربية في فرض هيمنتها ونفوذها على الحضارات الأخرى، بسبب امتلاكها لوسائل السيطرة والقوة[1]. فقدمت مشروعًا على صعيد العالم هو: "مشروع تجانس الإنسانية المستقبلي من خلال تعميم النموذج الغربي"[2].

لقد أدى هذا الاستعلاء الحضاري والمركزية الغربية، إلى سد كل الطرق المؤدية للحوار مع الحضارات الأخرى، وذلك بسبب شعور الإنسان الغربي المشبع بقيم التحيز لذاته بعدم حاجته للحوار، إلى جانب غياب التكافؤ بين الحضارة الغربية والمجتمعات الإسلامية.

2- الإعلام الغربي وتسيس نظرته للإسلام

بطبيعة الحال إن وسائل الإعلام بمختلف أشكالها تساهم في تكوين الصورة النمطية في أذهان الناس، وليس من المبالغ فيه القول بأن الإعلام هو الذي يصنع الصور ويصوغها ويؤطرها حسب أهدافه، وهذا يتجلى في موقف الغرب الإعلامي تجاه الإسلام.

فالإعلام الغربي يعمل على إنكار كل ما هو ليس بغربي، ويتجاهل العالم الإسلامي ويقلل من شأنه، إضافة إلى نشر صور مغلوطة ومزيفة للحقائق، وإثارة الفوضى وزرع الشكوك في عملية نقل الأخبار إلى الشعوب عند حدوث الوقائع، وأبرز ما يؤكد ذلك استغلال أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م من أجل تحقيق المصلحة الغربية.

لقد أسهمت الصناعة الغربية في رسم صورة عدائية ضد الإسلام؛ كونه المختلف عن الإنسان الغربي، الناقم على الغرب بسبب غيرته من تفوقه ونجاح نموذجه الحضاري، هذا ما أكده

---

[1] يُنظر: الشامي: علي، **الحضارة والنظام العالمي: أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب**، (بيروت: دار الإنسانية، ط1، 1995م)، ص322.

[2] إبراهيم: عبد الله، **المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م)، ص33.

"هانس كوكلر" Hans Kockler: "بعض إنتاجات صناعة السينما الأمريكية ساهمت بطريقة إرادية ومدبرة في تقوية صورة الإسلام كعدو ضار"[1].

ونجد بعض المسؤولين لدى الغرب كـ "روبرت بليترو"[2] Robert Pelletreau ينتقد الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام واتهامه بالعنف والإرهاب[3].

وبذلك لم يدع لنا الإعلام الغربي أي مجال للحوار البناء المتبادل بين الطرفين الغربي والإسلامي.

3- غياب مرجعية التنوع الثقافي ورفض التعددية

إن مفهوم التنوع الثقافي لدى الغرب هو الحفاظ على التراث الإنساني وأشكال التعبير الثقافي المختلفة، وذلك بحرصه على استمرار جميع الثقافات العالمية واختزال قضية الثقافة العربية في مجرد كونها ثقافة إنسانية يخشى عليها من الاندثار[4].

كما يوجه الغرب إلى الشعوب والحضارات الأخرى نظرات استعلائية أحادية تحول دون التفاهم وتوضح أنه رافض للتعددية، وينظر إلى ذاته على أنه صاحب أفضل حضارة إنسانية، غير معترف بحق الآخرين في الاختلاف، لذلك نجد السمة البارزة لدى الغرب عند مد جسور التواصل والحوار مع العرب هي البراغماتية أو النفعية التي تختفي وراء أقنعة التفوق العلمي والتقدم الحضاري، ولكن هي في حقيقتها استغلال للآخر، بينما يغلب على العالم العربي والإسلامي خطاب حواري من أجل الحضور دون العمل خشية الصراع الذي يهدد كيانهم الثقافي بالشطب والاندثار.

انطلاقًا من هذه المرجعية يوجد اختلال جلي في الحوار الثقافي العربي الغربي، يؤكده رفض الغرب للتحاور، وخصوصًا بعد نهاية الحرب الباردة التي ولدت صراع الحضارات والثقافات، ولا ينبغي لنا تجاهل دور اللوبي الصهيوني في صنع القرار الأمريكي وتشويه صورة الإسلام وانتهاك حقوق الإنسان.

4- العداوة للإسلام والمسلمين:

---

(1) كوكلر: هانس، **تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين الأسباب والحلول**، ت: حميد لشهب، (لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، د.ط، 2013م)، ص 143-144.

(2) مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق.

(3) يُنظر: جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، **مجلة المستقبل العربي، ع217، ص 19-20.**

(4) يُنظر: جبرون: أمحمد، **تجربة الحوار الثقافي مع الغرب: قراءة تقويمية ونموذج مقترح**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، مطابع الشبانات الدولية، ط1، 2014م)، ص52-53.

ينطلق الغرب من نظرة فلسفية ونزعة طبيعية لتحقيق المفهوم التصارعي للوجود[1]؛ لإفراغ الحقد والمزاعم الشيطانية باتجاه هذا العدو لملء الفراغ (التعبئة) ما يزيد من قوة التماسك والتمركز حول الذات.

وقد ذكرت لطيفة خضر: أن هناك بعض المسؤولين الذين يكنون عداوة للإسلام والمسلمين. كـ: "سلفيو برلسكوني"[2] Silvio Berlusconi الذي قال: إن هذه الحضارة -ويقصد بها الحضارة الإسلامية– لا ترقى للحضارة الغربية، لأن الحضارة الغربية تُعتبر أسمى وأرقى من الحضارة الإسلامية[3].

وقررت مؤسسة "راند" RAND [1] في تقريرها السنوي عام 2007م أن العدو الجديد للولايات المتحدة الأمريكية هو العالم الإسلامي، وبذلك عملت المخابرات الأمريكية وسعت جاهدةً لتعبئة الرأي العام الغربي ضد المسلمين والعالم الإسلامي كجهة مسؤولة عن أحداث 11 سبتمبر 2001م ما ولد عداءً واضحًا بينهم.

وتأتي تصريحات بعض الزعماء الغربيين ومهندسي القرار لكشف الغطاء عن المؤامرة المدبرة بهدف إلقاء اللوم على المسلمين أمثال: "هنري كيسنجر" Henry Kissinger و "ليندون لاروش" Lyndon LaRouche[2]. وفي تصريح للقس فرانكلين غرانغ في خطابه عند تنصيب أحد رؤساء أمريكا في مطلع القرن قال: "الإسلام دين خبيث وشرير"[3] قبل أن يسترسل في كلام مطوله كله هجوم على الإسلام والمسلمين.

وهذا دليل واضح على رفض الغرب للحوار مع العالم الإسلامي لكونه عدو لا يستحق التحاور معه، في حين يغفل الغرب مسألة مهمة وهي أنه لا توجد حضارة مكتفية بذاتها مهما بلغت من قوة وجبروت في مسيرتها نحو المستقبل.

5- التدخل الغربي وفرض هيمنته على العالم

يعتبر التدخل الغربي الفعلي في دول العالم، وخاصة العربي والإسلامي أهم العوائق الفعلية التي تعرقل عملية الحوار. لقد كانت آمال العالم بعد انتهاء الحروب الاستعمارية أن يسود

---

(1) المفهوم التصارعي للوجود لدى الغرب هو الحاجة إلى عدو وهي ظاهرة قديمة.
(2) رئيس وزراء إيطاليا الملقب بـ (الفارس).
(3) يُنظر: خضر: لطيفة إبراهيم، مرجع سابق، ص 89.
(1) **مؤسسة "راند" RAND:** هي مؤسسة الأبحاث والتطوير (RAND Corporation: Research And Development) وهي منظمة غير ربحية وخلية تفكير أمريكية تأسست عام 1948م.
(2) يُنظر: تقي، "أمريكا وراء تفجيرات 11 سبتمبر"، **جريدة الخبرة، ع3444، ص 11.**
(3) ناجي، "استراتيجية العدوان الأمريكي على العالم العربي والإسلامي"، **مجلة المنعطف، ع21، ص 94.**

الأمن والرخاء والمثل العليا وانتشار الديمقراطية وحفظ الحقوق الإنسانية، وما لبثت أن ذهبت كل هذه الآمال أدراج الرياح تحت لواء السيطرة والهيمنة الأمريكية والتحكم بمصائر العالم بأكمله، ونقلت الصراع من الداخل إلى الخارج، وأقامت أمنها القومي بأن نصبت نفسها على خارطة الديمقراطية، وتخطت بذلك حدودها المحلية والإقليمية لتمس الأمن الداخلي لدول العالم في الصميم[1].

وبهذا أصبحت الدول العربية والإسلامية أسيرة وغير قادرة على مجابهة هذه التدخلات، وفي هذا السياق ذكر هنتنجتون عدة مظاهر لهذا التدخل المباشر، وهي كالآتي:

- امتلاك وإدارة النظام المصرفي في العالم
- هي الزبون والرئيس في العالم
- السيطرة على وسائل الاتصال العالمية
- صناعة الأسلحة ذات التقنية العالية[2].

إن المتأمل في تجارب الحوار العربي مع الغرب يجده عاجزًا قاصرًا غير مجدٍ نظراً لتعالي الغرب على الأطراف التي توجد دونه حضاريًّا. إن المشكلة تكمن في التفوق الغربي المتسلح بالعلم والتكنولوجيا، والآخر متخلف ما زال غارقًا في أوهام التفكير غير العلمي والتقليدي، إضافة إلى التباين في القوة الاقتصادية التي يعيشها الغرب[3]. إن هذا التدخل الفعلي والمباشر، يترجم على أرض الواقع بمزيد من الكراهية التي تسد كل منافذ الحوار.

6- تضليل المفاهيم الإسلامية:

لا يتوانى الغرب عن استعمال أي وسيلة تحقق له السيادة وإن كانت مغلوطة، فالغاية تبرر الوسيلة لديهم، وهذا ما نراه واضحًا في المؤسسات والمنظمات الاستشراقية التي تعمل على تضليل المفاهيم وإعطائها معاني تخدم أهدافها، فقد أولى العالم الغربي اهتمامًا كبيرًا بمقال جذور الغضب الإسلامي لـ "برنارد لويس" الذي شاع صداه في الأوساط الفكرية، إذ يعد من الكتب التي ساهمت في بناء تصورات مشوهة عن الإسلام، بأفكاره العدائية والمستفزة تجاهه واتجاه المسلمين.

---

(1) يُنظر: راغب: نبيل، **الغيبوبة العربية**، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م)، ص362.
(2) يُنظر: هنتنجتون: صامويل، مرجع سابق، ص 133-134.
(3) يُنظر: البنا: رجب، **المنصفون للإسلام في الغرب**، (د.م: دار المعارف، ط1، 2005م)، ص 47.

لقد تأثر تلميذه "صموئيل هنتنجتون" بمفاهيم لويس الخاصة بصراع الغرب والشرق، واعتمده لطرح مواقفه المتعصبة والتي تعمل على تشويه الحقائق الإسلامية، بالإضافة إلى العديد من المغالطات، ومنها: الحكم على الإسلام بالإرهاب وأنه عقيدة استبدادية[1].

وذكر هشام العوضي في كتابه الموسوم بـ موقف الغرب من الإسلاميين: أن السياسيين الغربيين معظمهم لا يعلم الكثير عن الإسلام والمسلمين، وأن معلوماتهم الهزيلة التي يمتلكونها عنهم تكونت لديهم من التقارير الاستخباراتية، ومراكز التفكير الموجودة لديهم، والتي اعتبروها مصدرًا معلوماتيًّا عن الإسلام والمسلمين، وهذه المصادر تكون غالبًا منحازة وليست حيادية[2].

ومن التصورات الخاطئة لدى الغرب ما ذكره لكريني": أن الإسلام كان يُهدد أوروبا وعمل على إزاحة سلطان روما نفسها.[3]

وهذه بعض التصورات الخاطئة للمفاهيم المغلوطة التي نلمس من خلالها عدم تجاوب الغرب مع الحوار الإسلامي ورفضه؛ ما يفسر تأثر آليات الحوار مع العالم الإسلامي بنظرة الغرب الاستعلائية. التي يغلب عليها طابع العنف المستمد من بيئته التي تتبنى القوة وتعتبر الهدوء والتروي تعبيراً عن الضعف.

7- الخوف الغربي المرضي من الإسلام

إن قلق الغرب من الإسلام قديم يرجع إلى صراع الصلبيين مع المسلمين إذ أن ذاكرتهم الجماعية مازالت موشومة بهذا الصراع، وهو ما يترجم وجود نوايا خبيثة محملة بالكراهية والحقد تجاه الإسلام والمسلمين.

إن ما يهابه الغرب هو قوة الإسلام وانتشاره الذي يأسر القلوب ويبعث الاطمئنان النفسي على الشعوب: "الإسلام السلمي"، وهذا في حد ذاته عامل من عوامل الخوف من الإسلام، والعمل على محاصرته

---

(1) يُنظر: مطبقاتي: مازن صالح، **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، دراسة تطبيقية على كتاب برنارد لويس**، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1416ه-1995م)، ص 97،19، 470-471.

(2) يُنظر: العوضي: هشام، **موقف الغرب من الإسلاميين**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1997م)، ص 56.

(3) يُنظر: لكريني: إدريس، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق**، (المغرب: د.ن، ط1، 2005م)، ص 142،141.

في تحقيق أجرته صحيفة "صنداي تايمز"[1] تنبأت فيه بارتفاع نسبة معتنقي الإسلام مع حلول العام 2050 ستصبح خمس دول الاتحاد الأوروبي مسلمة[21]. كما صرح هنتنجتون في نظريته "الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضوع شك مرتين"[32].

إن خوف الغرب من الإسلام ولّد مشاعر من الرفض واتباع سياسة إقصاء الآخر والاستهتار به، وهي ردة فعل معاكسة بسبب الخوف الذي يختلج صدورهم وهذه السياسةرسمت صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين في وجدانهم و بلغت جهودهم إلى حد أصبح هاجسها الوحيد هو هدم صورة الإسلام الصحيحة. وهذا التوجس عبر عنه تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorovقائلاً: "إن الخوف من البرابرة هو الذي يخشى أن يحولنا إلى برابرة"[3]. وهو بالذات التبرير الأساسي للتصرفات اللاإنسانية التي يرتكبها الغرب في حق المسلمين.

وفي ظل هذه الظروف النفسية المتوترة لدى الغرب، والتي رسخت عقيدة الخوف في أفرادها وأقنعتهم بأن هناك عدوًّا يجب محاربته، واستمرت على منوالها حتى الآن، وهو ما أثر بشكل سلبي في مساعي العالم الإسلامي للحوار.

المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي

إن تعاطي الغرب مع قضية الحوار الإسلامي لم يكن مباشرًا بل كان مقترنًا بالتطرق إلى دراسات وخطابات ونشر كتب تكاد تعمل على تصحيح سوء الفهم، وهنا سأعرض بعض المواقف المؤيدة للحوار الإسلامي الغربي.

1- الاستفادة من الحضارة الإسلامية

قدم "روجيه جارودي" Roger Garaudy في كتابه "حوار الحضارات" طرحًا بالغ الأهمية بضرورة استيعاب الموروث التاريخي لدى الحضارات والتفاعل معها، ويدعو الغرب إلى

---

(1) **صنداي تايمز:** هي صحيفة من الصحف التي لاقت شهرة كبيرة في لندن بإنجلترا، تأسست عام 1822م، حازت على سمعة طيبة لكونها دقيقة ومكتوبة بعناية فائقة.

(2) يُنظر: **الكراهية والعنصرية ضد الإسلام في الغرب،** برنامج: بلا حدود، تاريخ الحلقة 22\08\2010م. (رابط إلكتروني استعرض بتاريخ 2020/02/16م).

(3) هنتنجتون: صامويل، مرجع سابق، ص339.

(3) تودوروف: تزفيتان، **الخوف من البرابرة. ما وراء صدام الحضارات،** ت: جان ماجد جبور، (الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، د.ط، 2009م)، ص 11.

إعادة النظر في مواقفه من الآخر الحضاري بل يتعلم منهم[1]. وكتب في هذا السياق: إن الحضارات غير الغربية تعلمنا أن الفرد ليس أساس كل شيء، ما يجعلنا نكتشف الآخر دون حكم مسبق[2].

ويحث جارودي الغرب على الاستفادة من الحضارة الإسلامية التي انبثق نورها في بقاع الأرض بما تحمله من أخلاق سامية في تعامله مع الآخر[3]. وبانت جهود جارودي في "مشروع الأمل" الذي قدمه للغرب، تحت شعار "يصنع الجميع مستقبل الجميع" وهي محاولة منه لدفع الغرب إلى رؤية مختلفة للمستقبل بعيدة كل البعد عن "الأنا الغربية".

ويؤكد أوسفلد شبنجلر في كتابه "تدهور الحضارة الغربية": أن الحوار بين الحضارات يثري الإنسانية وذلك من خلال التعرف على الثقافات الأخرى التي ليست غربية[4].

ومن أبرز المفكرين والكتاب على الساحة الغربية، الذين وجهوا نقدًا لنظرية صدام الحضارات الكاتب: "هارالد موللر" Harald Müller بكتاب "تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنجتون"، ويؤكد خلاله أن الغرب يجب عليه أن يتعرف على الثقافات الأخرى ويتبادل الحوار معهم لتثرى ثقافته الحضارية.

2- تصحيح الصورة الإسلامية:

عملت العديد من الدراسات على تصحيح الكثير من التصورات المشوهة التي خلقها الغرب عن الإسلام والحضارة الإسلامية ومن بينها بحث البروفيسور "جون اسبوزيتو" John Esposito "التهديد الإسلامي: حقيقة أم خيال" الذي لاقى أثراً واسعاً، فقد عمل على تقليل هاجس الخوف لدى الغرب من الإسلام، وخلص إلى نفي مقولة "الخطر الإسلامي" و"الخطر الأخضر".

لم تقتصر الدعوة للحوار على المفكرين والعلماء بل نالت اهتمامًا كبيرًا من قبل بعض رجال السياسة في الغرب، ويعتبر خطاب "الأمير تشارلز"[1] The Prince Charles من أهم الخطابات الحيادية في الغرب الذي أراد من خلاله أن يرسم صورة صحيحة عن الإسلام مبنية على حقائق.

---

(1) يُنظر: الميلاد: زكي، **المسألة الحضارية، كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، مكتبة مؤمن قريش، ط2، 2008م)، ص67.

(2) يُنظر: **في سبيل حوار الحضارات**، ت: عادل العوّا، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ط4، 1999م)، ص 190-191.

(3) يُنظر: الجابري، "أي حوار يزيد"، **مجلة المرصد الدولي، ع4، ص 33.**

(4) يُنظر: شبنجلر: أوسوالد، **تدهور الحضارة الغربية**، ت: أحمد الشيباني، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط1، 1964م).

(1) ولي عهد بريطانيا سابقًا.

وعُرف الباحث الألماني: "يورغن تودنهوفر" Jürgen Todenhöfer بنقده شديد اللهجة للغرب مدافعًا عن الأقليات الإسلامية، ويعرض ذلك في كتابه: "الصورة العدائية المصطنعة للإسلام: عشر أطروحات ضد الكراهية"، وفي نظره يدعو إلى فن التحاور الثقافي والتفاوض السياسي بين الدول لا فن الحروب المدمرة[1].

3- التعددية الثقافية

إن قانون التنوع والاختلاف يعتبر من أهم أسباب التعددية، فمنذ بداية الخليقة تعاقبت مجموعة من الحضارات والثقافات على هذه الأرض، ما يؤكد أن الحضارات الإنسانية ما هي إلا تفاعل وتبادل في الأخذ والعطاء على مر العصور. وما الصراع الحضاري إلا عقبة أمام مبدأ التعايش السلمي والتفاعل والاستفادة من الآخر المختلف.

يعد الكاتب والناقد الفرنسي "تزفيتان تودوروف" Tzvetan Todorov، من أبرز المنتقدين بشدة لنظرية صدام الحضارات، والمدافعين عن التعددية الثقافية والحوار الحضاري، إذ يرى أن الحوار ما هو إلا نتاج فكري من الوقائع والأحداث، وليست مهمة المفكرين التعبير عن فضائل الحوار بين الثقافات، وإنما ترك ثنائية التفكير والاندماج لحوار مجدٍ.

ويعرض "سيرج لاتوش" في كتابه: "تغريب العالم" صورًا مختلفة لمعاناة بعض الشعوب والصمود في مواجهة التوسع الغربي بصورته الإمبريالية، وينفي فكرة النظرة الأحادية للوصول إلى الحداثة التي تمثل نهاية الثقافات وانتصار الحضارة[2].

4- وحدة الأديان: ويذكر لنا "روجيه جارودي" وهو من أبرز المنظرين في الدعوة إلى وحدة الأديان، والحاجة الملحة إلى الحوار مع الحضارات الأخرى ومنها الحضارة الإسلامية؛ وذلك من مُنطلق نظرية وحدة الأديان، وهي نظرية قائمة على مذهب وحدة الوجود لصاحبها ابن عربي[1].

المبحث الثاني: أثر الاستعلاء على الموقف الإسلامي من الحوار الحضاري

يتعالى الغرب بتفوقهم على باقي الشعوب وهذه النظرة الاستعلائية المتحاملة على الثقافات المخالفة لهم، هي التي أدت إلى استمرار العداء. إضافة إلى تعدد أشكال الهيمنة على مقدرات باقي

---

[1] يُنظر: Jurgen Todenhofer: Feindbild Islam. Zehn Thesen gegen des Hass, Munchen: c.c Bertelsmann Verlag 2011, p.59

[2] يُنظر: لاتوش: سيرج، **تغريب العالم**. بحث حول دلالة ومغزى وحدود تنميط العالم، ت: خليل كلفت، (القاهرة: دار العالم الثالث، ط1، 1992م)، ص 70.

[1] السلمي: عبدالرحيم بن صمايل، "الحوار بين الأديان"، **الدرر السنية**، 4 رجب 1431ه. (موقع إلكتروني).

الشعوب تحت غطاء الإمبريالية الثقافية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عملوا على خلق صراع دائم بين المسلمين والغرب بعد انتزاعهم قلب العالم (فلسطين) ليكون جرحًا ينزف في وجدان كل عربي مسلم.

وفي ظل هذا العداء الكامن للعالم الإسلامي وتعطيل السلام، وتكريس النظرة المستعلية تجاه الآخر المختلف واعتماده النبرة التهديدية، هل من الممكن إيجاد سُبل لإقامة حوار فعّال مع الغرب؟! فالدين الإسلامي كفيل بذلك لأنه هو السبيل الوحيد لإقامة حوار حضاري يجعلنا نقبل بالآخر كما هو بالواقع وإن كان مرًّا؛ لأن في مرارة العلقم دواء لكثير من الداء.

إن ارتباط الحضارة الإسلامية بدينها الإسلامي له أثر كبير في علاقتها مع باقي الحضارات لأنها تنمو وتتسع تحت تأثيره منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، وهو ما يزيد من إحساس الغرب بالرعب، نظرا لقوة الدين الإسلامي.

رغم كل هذا الزخم يبقى الحوار هو الوسيلة الأكثر فعالية للالتقاء مع الآخر، وإن التعاطي النقدي والعلمي مع الواقع يجعلنا في مفترق الطرق، وفي هذا المبحث سأسلط الضوء على الأسباب الداعية لرفض المسلمين الحوار مع الغرب إلى جانب مؤيدي الحوار الإسلامي الغربي، ومدى اقتناعهم باتجاهاتهم الفكرية ومآل الحوار وجديته.

المطلب الأول: أسباب رفض المسلمين الحوار مع الغرب

إن ظاهرة الاستعلاء التي يُعاني منها المسلمون من طرف الغرب خلقت العديد من ردود الأفعال لديهم، وهي ردود أفعال طبيعية ناتجة عما خلفته هذه الظاهرة، من إحساس المسلمين بالدونية والاحتقار وبالتالي فهي ستؤثر حتماً على الحوار الحضاري بينهما. وذلك راجع لجملة من الأسباب:

1- النظرة التمجيدية والأنا الحضارية

إن المتأمل في تاريخ الحضارة الإسلامية يجدها حضارة عظيمة قادت العالم لأكثر من عشرة قرون، فكانت وطنًا إسلاميًّا ممتدًّا لا حدود تفرقه ولا حواجز تمنعه، وكانت الشريعة الإسلامية هي المرجعية العليا لإدارة شؤون الأمة، الأمر الذي ولّد شعورًا بالأنا الذاتية العربية الإسلامية التي اتسمت بالنظرة التمجيدية.

ويشهد التاريخ بأصالة الحضارة الإسلامية وعراقتها، وأنها قدمت للبشرية ما لم تقدمه أي حضارة أخرى، لأنها وُلدت في رحم إسلامي ينبض بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[1]، فالعالم الإسلامي يرفض الحضارة الغربية وكل ما جاءت به، فلا يأخذ من معارفها ولا من تجاربها ولا يستورد أو يقتبس منها شيئًا؛ لأنها مستبدة، فالأولى غلق الباب في وجهها ورفضها بالكامل، ويُرجع محمد عمارة سبب هذا الرفض إلى الرغبة في الحفاظ على التراث الإسلامي وثقافته، والذود عنه أمام الوافد الغربي الذي أراد أن يحل محله[2].

لذلك نجد أن شرائح من المسلمين يطغى عليهم ذلك الشعور الوهمي بالتفوق الحضاري لمجرد انتمائهم إلى هذه الحضارة في ماضيها، ونتيجة للغزو الفكري الذي شنه الغرب على الإسلام وامتهن كرامة أمتهم، أدى إلى إثارة غضبهم وظهور العداء اتجاه من دمر حضارتهم.

2- الغربوفوبيا

من المصطلحات الجديدة "الغربوفوبيا"[3] وهو عقدة الخوف المرضي لدى المسلمين من الغرب وكل الغرب دون تمييز بين الغرب الغازي والغرب الإنساني، وهي نتيجة طبيعية لما مر عليهم من حروب صليبية وهجمات استعمارية فتكت بهم، وجعلت الكراهية تتغلغل في الوجدان الإسلامي. وهو ما أشار إليه البروفيسور الأمريكي "جون أسبوزيتو" John Aspozitto مؤكداً أن نوايا الغرب نابعة من ولائهم القديم للحملات الصليبية المحملة برغبتهم في تحقيق مصالحهم العسكرية والاقتصادية، عن طريق تأسيس إمبراطورية لاتينية في قلب العالم الإسلامي من أجل إنعاش ثرواتها، ولن يتحقق مرادهم إلا باستعمار الأراضي الإسلامية والحد من انتشار الإسلام[4].

ولذلك يعد الغزو الاستعماري من آليات هدم الهوية الإسلامية، إذ ضرب جذور الثقافة الإسلامية من خلال انتزاع ملكية القدس من المسلمين وبهذا يكون الغرب هو المسؤول الأول عن هذه العقدة[5]. ما أدى إلى وقوع الحضارة الإسلامية في أيادي الهيمنة الإمبريالية الغربية حين

---

(1) يُنظر: خليل: عماد الدين، **في الفقه الحضاري: حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام**، (د.م: مكتبة المهتدين الإسلامية، د.ت)، ص 146.

(2) يُنظر: عمارة: محمد، **أزمة الفكر الإسلامي الحديث**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط1، 1998م)، ص81-82.

(3) طلابي: أمحمد، **حوار الحضارات المأزوم (الإسلاموفوبيا والغربوفوبيا)**، (المغرب: د.ن، 2008/01/05م)، ص2.

(4) يُنظر: العوضي: هشام، مرجع سابق، ص 14-15.

(5) يُنظر: شنتوح: ليليا، "القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية"، **مجلة الأديان، ص26-27.**

احتُلَّت الجزر الإندونيسية على يد هولندا سنة 1552م[1] وما شنته من إبادة وإرهاب وحروب ارتكبتها في حق المسلمين الماثلة أمام أعينهم[2].

ولا نغفل عن الآثار السيئة إزاء التدخلات الغربية في شؤون العالم الإسلامي التي ساهمت في تثبيت مشاعر الاضطهاد لدى المسلمين وما آل إليه من رفض الآخر.

وفي هذا الإطار يذكر: "جراهام أي فوللر وأيان أو ليسر" Graham E. Fuller, Lan O Lesser في كتابهما الموسوم بـ: "الغرب والإسلام بين التعامل والمواجهة": إن المسلمين حكموا بلاد الأندلس –إسبانيا- ما يقارب ثمانية قرون، ومن أكثر الأمور التي أصابتهم بالذل وأشعرتهم بالألم النفسي هو دخول الغرب مرة أخرى لإسبانيا[3].

وهذه التصورات التاريخية والتجارب التي مر بها المسلمون، خلقت صورة سلبية عن الغرب في ذهنية ونفسية المسلم، الأمر الذي خلق أثراً كبيراً في تشكيل موقفه من رفض الحوار الغربي.

3- الحركات المتطرفة المناهضة للحوار:

لقد ساهمت التيارات الفكرية المتطرفة في بث العداء والكراهية لغايات سياسية وليست دينية. فهي حركات إسلامية تحت راية الإسلام والسلام ومحاربة المنكر كالحركات الجهادية الإسلامية، ومن أشكالها الجهاد المسلح الذي جاء كرد فعل لاستعلاء الغرب المتحامل على المسلمين. ولم تكتفِ هذه الحركات بملاحقة الغرب المتواجدين في بلادهم الإسلامية بل ذهبت إليهم في عقر دارهم[4].

كما أسهمت بعض الحركات الإسلامية بشكل كبير في تكوين الصورة المشوهة عن رؤيتها للغرب، والمشكلات الراهنة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية، والمنبثقة من بعض المفكرين والكتاب الذين هم على خلاف مع الحركة الإسلامية، ما دفعهم لوصف الغرب على أنه بغيض وملحد وعدو للحضارة الإسلامية.[5] إضافة إلى المآسي التي تعرضت لها الحضارة الإسلامية من

---

(1) يُنظر: التويجري: عبد العزيز بن عثمان، **العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل**، (د.م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ط1، 2007م)، ص12.

(2) يُنظر: محفوظ: محمد، **الإسلام، الغرب وحوار المستقبل**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م)، ص15.

(3) يُنظر: أي فوللر: جراهام، أيان: أو ليسر، **الإسلام والغرب: بين التعامل والمواجهة**، ت: شوقي جلال، (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ط1، 1996م)، ص 43، 46.

(4) يُنظر: حجازي: أكرم، **دراسات في السلفية الجهادية**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ط2، يونيو2013م)، ص 220.

(5) غانم: "صورة الغرب عند الحركة الإسلامية المعاصرة"، **مجلة المجتمع، ع1115، ص40.**

سلب ونهب لثرواتهم وتمزيق وحدتهم والتآمر عليهم باستمرار. والأعظم من ذلك حين أسقط الغرب الدولة العثمانية، وكل ذلك نتيجة الاستعمار القديم، وأكبر معضلة هو تقدم الغرب علميًّا وتكنولوجيًّا، وأن أحدهم أطلق عليه "معضلة الحداثة"[1].

ومن الدوافع العميقة التي أدت إلى ظهور ما يسمى بـ "الإرهاب" الغلو والتطرف الفكري، فأصبح قانون محاربة الإرهاب في معظم الدول الغربية والعربية، سيفًا مصلتًا على أعناق الدعاة والجماعات الإسلامية، وهو ما أكده "أكرم حجازي" أن هذه الحركات والجماعات الجهادية هي التي تختار أهدافها بما يتلاءم مع خدمة العقيدة الإسلامية ومتطلباتها، ويصف هجومه على رموز القوة والهيمنة داخل الولايات المتحدة الأمريكية بأنها ضربة كان المقصود منها تحطيم **(هبل العصر)**.

فكان حمل السلاح هو لغة الحوار الذي تتبناه هذه الحركات ضد غطرسة الغرب، وهم يحذون حذو الفريق الرافض إلى إقامة الحوار مع الآخر واستبعاده استبعادًا تامًّا.

4- مواجهة غزو العقل الغربي للعالم الإسلامي:

إن العقل الغربي هو قائد الحضارات اليوم، ومن أهم الأسس التي يرتكز عليها الصراع الطبقي التناحري المشبع بثقافة العنف والحقد على المستضعفين تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة ولا تخضع للأخلاق) أدى إلى تأجيج حالة الخوف والرعب لدى المسلمين.

ومن أخطر وسائل الغزو الفكري للعقل الغربي هو الاستشراق؛ لأنه يحمل في ظاهره علمًا نقديًّا وفي باطنه حقدًا تاريخيًّا لاستنزاف مكونات الحضارة الإسلامية وتشكيل أمة يسودها الوهن والضعف والانحلال الأخلاقي والفساد الديني لتمزيقها بسهولة.

لقد تم تنصب جهود العقل الغربي لهيمنة الحضارة الغربية على باقي الحضارات عن طريق العولمة، وهي مرحلة تبدأ بتغيير المفاهيم والقيم الثقافية وأنماط السلوك الإقليمية واستبدالها بثقافة عالمية، والتخلص من الحضارات الإنسانية وإعلان الحضارة الغربية حضارة وحيدة للعالم[2].

ذهب العجمي دمنهوري إلى أن العولمة تتعارض مع قيم وثقافة الحضارة الإسلامية ولا يمكن أن نقبلها، وأكد محمد إبراهيم الفيومي، على أن قضية العولمة هي نوع من الانتحار.

---

[1] يُنظر: المرجع نفسه، ص40.

[2] يُنظر: التويجري: "الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي"، **مجلة رسالة التقريب، ع23**، ص 128.

ومن هنا نجد أن الغرب لم يترك مجالًا إلا اقتحمه، بحيث ينظر للمصطلحات والمفاهيم التي تحقق مصلحته الذاتية على حساب الآخر، كالعولمة ووسائل التكنولوجيا والشرق أوسطية وصراع الحضارات وقضايا حقوق الإنسان، فدمرت أدوات الإنتاج الحضاري أي الحكم عليها بالتوقف عن الإنتاج الحضاري، وضياع الهوية الإسلامية وهو حال المسلمين اليوم، ما أسهم في غلق الباب في وجه الحضارة الغربية ورفضها بالكامل.

5- الموقف الغربي العدائي من قضية فلسطين:

إن قضية فلسطين مازالت إلى الآن قضية شائكة ومازالت جرحاً غائراً يؤلم مشاعر كل مسلم وعربي عقديًّا وإنسانيًّا وسياسيًّا أيضاً، وأي تقصير منا يعتبر خذلانًا للدين، ولن نتردد باستغلال أي فرصة للذود عن قضيتنا، في مواجهة الكيان الصهيوني التي تمثل القوة والهيمنة المستمدة من استعلاء الغرب. قال "باول شمتز" Paul Schmitz: "اتفق المستعمرون على ضرب الإسلام، فتعاونوا فيما بينهم على خلق الكيان الصهيوني للحيلولة دون سيادة المسلمين في هذه المنطقة الحساسة من العالم"[1].

وتبعًا لمعطيات نظرية صدام الحضارات فإن الكيان الصهيوني يعكس سياسة الولايات المتحدة الامريكية على أرض فلسطين، من خلال عمليات التدمير الشامل للكيان الفلسطيني وإبادة شعبه، وتهويد أراضيه المقدسة، وطمس المعالم الحضارية الإسلامية لتحل محلها الثقافة اليهودية.

والناظر إلى هذا الصراع المستمر يرى كمية حقد الغرب على الحضارة الإسلامية، فقد ساهم ذلك في توليد الكراهية والعداء ضد الغرب المتجاهل للمكانة الدينية للقدس وفلسطين في نفوس المسلمين، بسبب دعمهم المباشر والمتواصل للكيان الصهيوني ، وهذا ما أكده برنارد لويس أن الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني هو السبب المباشر لتبرير المشاعر المعادية لأمريكا من ناحية المسلمين[2].

إن الحوار الحضاري منذ أن نشأت القضية الفلسطينية، يصعب تحققه كممارسة دينية وحضارية على أرض الواقع، لأنه يجب أن يُأخَذ بعين الاعتبار، ما قام به الغرب تجاه الشعب الفلسطيني، وإذا لم يتم الإفصاح عن هذا المشكل فلن يكون الحوار إلا مجاملةً، ويجب أن يدرك العرب أن من حقهم "تعرية أخطاء الآخرين التي مارسوها ضدهم، ذلك أن الغربيين كانوا سببًا

---

(1) الحلو: أحمد منصور، **حوار الحضارات**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ط، 2007م)، ص 326.
(2) يُنظر: مبروك: محمد إبراهيم، **الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل**، (القاهرة: مركز الحضارة الغربية، ط1، 2002م)، ص 23.

رئيسًا وفاعلًا فيما يواجهه العرب الآن"[1]، فلغة الحوار باتت بالرصاص لذلك رفض المسلمون التحاور مع الغرب وبالأخص مع الإسرائليين.

6- العلو الإيماني (العقدي)

يمتلك المسلم عقيدة تجعله ينظر إلى نفسه على أنه خليفة الله في الأرض، فهو الأقوى والأسمى، ما يبعث الحمية فيه، إذ لا يقبل الخضوع والمهانة والاستسلام للآخر، فنجده يعتز بدينه مطالبًا بحقه بأفضليته في الأرض رافضًا التخلي عنها أو حتى التنازل عن بعضها.

لقد استمد المسلمون هذا الاستعلاء الإيماني من الأمر الإلهي بقوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ **الْأَعْلَوْنَ** إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران: 139)، وبهذا اتخذ المسلمون عند الله عهدًا ولن يخلفوه أنهم المصطفون الأخيار، رافعو لواء الحق ورايته، فزادهم اعتزازًا بعقيدتهم فاستعلوا في الأرض.

وفي ظل هذا الاعتزاز بالعقيدة، يرى المسلمون مثل هذا الاستعلاء تميزًا لا رفضًا للآخر، فهو استعلاء بالحق على عكس الغرب، وهذا الشعور عند المسلمين هو في حقيقته دافع إلى استيعاب الآخر فلا يمكن ترجمته إلى سياسة رافضة للحوار مع الآخر.

المطلب الثاني: مبررات الموقف المؤيد للحوار الإسلامي الغربي

إن الخطاب الديني يدعو إلى ثقافة الحوار، فهي رؤية مستوحاة من القرآن الكريم إذ عمل علماء الأمة على دفع عجلة حوارها مع الآخر لتنصب جهودهم، في التلاقح الحضاري لا التصارع والتناحر، والتي من شأنها تغيير الصورة النمطية عن الآخر، وقد انعكست هذه الصورة على آراء ومواقف بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين وعلى مبرراتهم التالية:

1- استراتيجيات الحوار المنبثقة من الدين الإسلامي

إن سماحة الدين الإسلامي جعلت الحوار أساسًا للعلاقات بين المسلمين والشعوب الأخرى على مختلف أديانها وثقافاتها، فالحوار مبني على أسس المودة والعدالة والخيرية، ويتضح لنا ذلك

---

[1] راغب: نبيل، مرجع سابق، ص 236.

من خلال شمولية الخطاب الإسلامي، كما أن طبيعة حواره يفتح آفاقًا واسعة للتعارف والتفاعل والتعايش مع الآخر الغربي، قال سبحانه وتعالى: **(ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ)** (النحل: 125).

- **أولًا: التعارف**

من المبادئ المهمة التي تقوي علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى هو تحقيق مبدأ التعارف باعتباره ركيزة أساسية في النفس البشرية، فهو السبيل إلى عودة وحدة الإنسانية، ووسيلة للتقارب، ومبرر للالتقاء الحضاري وتحقيق المنفعة المتبادلة. قال الله جل جلاله في محكم كتابه: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (الحجرات: 13).

ما يعني؛ أن الإسلام يدعو إلى العالمية، وقد عرّفها محمد عمارة العالمية كالآتي: "تعني أن هناك حضارات متعددة ومتميزة وليست متماثلة وليست منغلقة ومعادية، وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه، أي هناك عامل مشترك بين كل هذه الحضارات"[1] وبالتالي فإن عالمية الإسلام تتحقق في التنوع والانفتاح على الآخر، وكل ذلك قائم على مبدأ التعارف[2].

- **ثانيًا: التدافع**

إن مصطلح التدافع الحضاري هو: "صيرورة دائمة وحيوية لا تعرف التوقف، وهو حالة طبيعية وأحد سنن الله في خلقه"[3]. وبذلك يكون بديلًا إسلاميًّا لمصطلح الصراع السائد في الحضارة الغربية[4]. عرّف محمد خليفة حسن الدفع أو التدافع على أنه: "جهاد الإنسان المؤدي إلى إعمار الأرض وهو الذي يؤدي إلى قيام الحضارات"[5]، ويستمد هذا المبدأ من الآية القرآنية: **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)** (فصلت: 34).

---

(1) مبروك: محمد إبراهيم، **الإسلام والعولمة**، الجلسة الرابعة، العولمة وقضايا الفكر الإسلامي، المتحدث الأول: عمارة، محمد، (الجيزة، يناير 1999م)، ص118.

(2) يُنظر: شمس الدين، "العولمة وأنسنة العولمة"، **مجلة منبر الحوار، ع37، ص7.**

(3) عمارة: دليلة، **التدافع القيمي بين الحضارات والأمم أزمة النظام الدولي المعاصر أم فرصة التغيير السانحة؟** دراسات استراتيجية، ص 225. Volume 8, Numéro 17, Pages 89-112
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/114602

(4) يُنظر: صالح: نبيل علي، "الحضارات والثقافات بين واقع الصراع وطموح الحوار"، **مجلة المنهاج، ص292.**

(5) حسن: محمد خليفة، مرجع سابق، ص281.

- **ثالثًا: التعايش**

من المفاهيم المهمة للحوار هو تعايش المسلمين مع الآخر داخل الدولة الإسلامية أو خارجها بالحسنى والمعروف، فهي فرصة لتبادل الحوار والإقناع لقوله عز وجل: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** (آل عمران: 64)، وهذا لا يعني؛ الدعوة لقبول أفكار الآخر دينيًّا، بل التعايش معه لفتح آفاق الحوار دينيًّا ودنيويًّا.

إن مبدأ التعايش السلمي من المبادئ التي تأتي في نهاية مطاف الحوار، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين الحضارتين، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء مبدأ التعايش، مصداقًا لقوله تعالى: **(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** (الممتحنة: 8)، ما يعني؛ أن الإسلام قائم على أساس العدل والإحسان حتى مع غير المسلم، ونلمس هذا من خلال فعل النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مع وفد نصارى نجران، حين وقع المعاهدات انطلاقًا من الحوار وانتهاءً بالتعايش السلمي[1].

استنادًا إلى المفاهيم السابقة أسس القرآن الكريم مبادئ للحوار، ومن أهم مبادئها الدعوة إلى الحوار الحسن بالقول الطيب والحكمة والموعظة الحسنة واللين في التعامل تحت عباءة التواضع، وتجنب الإثارة واحتقار (الآخر) بعيدًا عن الأنا والتعالي[2]، فالبروتوكولات الحديثة التي تعمل على ضبط منظومة الحوار جميعها لا تخرج عن دائرة هذه الآداب[3].

فالحوار الذي ينادي به مؤيدو هذه الاستراتيجيات بات ذريعة المسلم الضعيف، وأصبح وسيلة للدفاع ليصد عن نفسه أي اتهام يوجه إليه، فبدلًا من استغلال الأحداث العالمية لخدمة الحوار الإسلامي، إلا أنه انقلب مضمونه رأسًا على عقب فصار هدفه دفع تهمة الإرهاب عنه كما حدث

---

(1) عجك: بسام داوود، **الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ-التاريخ-الموضوعات-الأهداف)**، (د.م، دار قتيبة، ط1، 1998م)، ص163.

(2) يُنظر: حسن: محمد خليفة، **الحوار منهجاً وثقافة**، (الدوحة: مركز البحوث والدراسات، ط1، أكتوبر 2008م)، ص 67.

(3) المرجع نفسه.

أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر[1]، وبالتالي أصبح الخطاب يمثل موقفًا دفاعيًّا مبتعدًا عن لغة الحوار التي كانت سمة أساسية في شمولية الخطاب الإسلامي.

2- المشترك الحضاري الإنساني وعدم احتكار المنجز الحضاري

إن طبيعة كل حضارة تعمل على تحديد علاقتها مع الآخر بشتى الطرق من خلال المشترك الحضاري الإنساني، الذي هو مطلب كل الحضارات الذي تسعى إليه وتتوقف بعده، فالعلاقات يجب أن تكون قائمة على أسس من الالتقاء والتفاعل وليس على أسس من الصراع[2].

ومن سمات المشترك الحضاري الإنساني، هو تحقيق السعادة والرفاهية للإنسان بتنظيم علاقاته وشؤون حياته روحيًّا وماديًّا وأخلاقيًّا وعلميًّا، بالإضافة إلى الاهتمام بالآخر المختلف ثقافيًّا وحضاريًّا.

ويعد الالتقاء الحضاري هو السمة البارزة في المشترك الحضاري الذي ميز الحضارة الإسلامية، لما تملك من مقومات وخصائص تؤهلها لاستلام زمام الحوار كونها ترفض أي صراع يحول دون إحلال السلام، وهذا الالتقاء الحضاري يستند إلى عدة مفاهيم: مفهوم الأخوة الإنسانية، ومفهوم التعددية الثقافية الحضارية، ونبذ الاستعلاء وسيادة الرؤية الحضارية، والإيمان بتفاعل الحضارات بالأخذ والعطاء لتحقيق السعادة والرفاهية بدون حدود مكانية أو زمانية.

ومن هذا المنطلق عمل مؤيدو الحوار على صناعة خطاب بديل يصحح ويجدد المسار لمستقبل الحوار الحضاري القائم على التآلف والمودة، وخلق قناعة راسخة بالحوار الفعّال وبناء جسور تواصل مع الآخر، والاستفادة من المشترك الحضاري الإنساني وتبادل المنافع دون تحيز وإذابة كل معاني الاستعلاء.

ولا نغفل كذلك عن دور الحضارة الإسلامية بإقرارها الاستفادة من منجزاتها وانفتاحها عن العالم، بدون احتكار هذا المنجز، إذ يمثل مبدأ عدم احتكار المنجز في الحضارة الإسلامية خاصية من خصائصها.

3- قضية العدالة والإنصاف:

إن المنظومة التشريعية في الحضارة الإسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، فهي لم تضع خطوطًا فاصلة بين البشر، ولم تعزل المسلم عن الآخر، بل احتضنته وجعلته عنصرًا فعّالًا

---

[1] يُنظر: الحاجي، "بنية الخطاب الإسلامي الجديد"، **مجلة حوار العرب، مؤسسة الفكر العربي، السنة الأولى.**
[2] يُنظر: حسن: محمد خليفة، مرجع سابق، ص33.

يستفيد من معطيات حضارته، حيث يشارك بمجهوده في ازدهار حضارته الغربية، وقد نجحت الحضارة الإسلامية في تحقيق العدالة والسلام والتعايش بين الشعوب المختلفة، وإن كتب التاريخ شاهدة على أن الحضارة الإسلامية لم تكن حضارة مركزية بل كانت حضارة سمحة اعترفت بجميع الثقافات من حضارة الفرس وبلاد الرافدين وفسحت لها المجال للمشاركة في بنائها. إن الاعتراف هو قطب الرحى في عملية الحوار ويتبعه تكافؤ القوة والعدالة وذلك لضمان إنصاف المتحاورين[1] لقوله تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (النساء:85).

لذلك لا يعارض المسلمون وجود سلطة عليا تتدخل لحل النزاعات ورفع الظلمات وإقامة العدل، ومحاولة فك الارتباط الحضاري وعدم احتكاره في المجتمعات الإسلامية، لكن دون مشاركة القيم والتقاليد الغربية التي ستؤثر على خصوصية الثقافة الإسلامية [2]. وكذلك الاستفادة من كل التقنيات الحديثة والتطورات العلمية والمعرفية[3].

---

[1] يُنظر: مراد، "القرآن والسنة النبوية الشريفة أساساً للجدل والمناظرة"، **مجلة الوعي الإسلامي، ع483، ص45.**

[2] يُنظر: محفوظ: محمد، مرجع سابق، ص18.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

الخاتمة

وبعد التعرض لفصول البحث بداية من تحديد المفاهيم الأساسية ذات منطلق ديني وفلسفي، والتي يتمحور حولها موضوع البحث (خطاب الاستعلاء الحضاري الغربي وأثره في الحوار الإسلامي الغربي)، وما يرتبط به من نظريات عملت على شيطنة الحضارة الإسلامية ودمرت العلاقات بين المسلمين والغرب. وبيان كيفية التعامل مع الثقافات المغايرة وفق تطبيقات عملية، والاشتغال والكشف عن أهم التداعيات في خطاب الاستعلاء الغربي وأثره في الحوار الإسلامي الغربي، من خلال عرض آراء المفكرين والساسة وأهل الاختصاص، **ويمكننا استخلاص ما توصلت إليه من نتائج على النحو الآتي:**

1- توجد نظرة استعلاء واضحة لدى الغرب تجاه كل ما هو غير غربي، كما يتضح ذلك من خلال طرحهم الفكري.
2- يوجد بالمقابل نظرة استعلاء لدى بعض المسلمين تجاه الغرب، مردها إلى التميز والاعتزاز العقدي.
3- توجد صورة مشوهة للإسلام والمسلمين لدى الإنسان الغربي ساهم في صناعتها الإعلام وتقارير المؤسسات البحثية.
4- إن نظرة الاستعلاء لدى الغربي تعرقل أي حوار حضاري بين الإسلام والغرب.
5- إن نظرة الاستعلاء تجاه الآخر المختلف ضاربة بجذورها في التاريخ وليست وليدة العصر الراهن.
6- قصور مرجعية التنوع الثقافي ورفض التعددية
7- يوجد "غربوفوبيا" في مقابل الـ "إسلاموفبيا".
8- الاستعلاء الغربي لم يكن ضد الآخر وحسب، بل ضد الإله وهو ما بدا جلياً في كتابات بعض فلاسفتهم ومنظريهم.
9- الاستعلاء يهدد الأمن والسلم والاستقرار العالمي وينذر بأخطار وخيمة.

ولحل المشاكل التي تعترض سبيل الحوار، نتيجة الاستعلاء الحضاري الغربي، نذكر بعض التوصيات:

1- تطوير الخطاب الديني من خلال الإلمام بمحاور الثقافة الإسلامية الكافية وقيمها وتاريخها ومشاكلها المعاصرة.

2- تبني فكرة دائرة القدوة وترسيخ المفاهيم الإسلامية والعقيدة السليمة وتعميق المعرفة الحضارية في نفوس الأجيال القادمة من خلال:

أ. التنشئة الدينية والاجتماعية من قبل الوالدين والأسرة والمجتمع.

ب. إعداد مناهج علمية مدروسة على الأصعدة التعليمية، وإعداد الكوادر المؤهلة من قبل الجامعات.

ت. تعاون المؤسسات والهيئات والأجهزة بالدولة للنهوض بثقافة الحوار الفّعال.

3- توظيف وسائل الإعلام واستغلال التكنولوجيا الحديثة والإسراع في وضع خطة مدروسة لدعم الحوار مع الآخر، فالعرب كالغرب يعيشان حالة "توازن الخوف" وحلها هو تصحيح الصور المغلوطة عمومًا، ومد جسور التعاون بينهم، والتخلص من العداء التاريخي المرسخ في ذاكرة الغرب والمسلمين على السواء.

4- دعم الحركة السياحية داخل البلدان العربية وخارجها لأنها نقطة التقاء الحضارات من خلال تأهيل المرشدين بنقل صورة ثقافية وحضارية إيجابية للوافد الغربي.

5- الحرص على تحديد موقف إسلامي وعربي قوي للتصدي للعربدة والكيان الصهيوني، وإدراج قضية فلسطين في أجندة الحوار الإسلامي الغربي.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

المراجع باللغة العربية:

إبراهيم: عبد الله، **المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات،** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م).

ابن منظور، **لسان العرب،** تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، ط1، 1119).

الأصفهاني: الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن،** ترجمة وتحقيق: صفوان عدنان داوودي، (د.م، دار القلم – الدار الشامية، ط 4، 1430ه-2009م)، مج 1.

أي فوللر: جراهام، أيان: أو ليسر، **الإسلام والغرب: بين التعامل والمواجهة،** ت: شوقي جلال، (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ط1، 1996م).

البنا: رجب، **المنصفون للإسلام في الغرب،** (د.م: دار المعارف، ط1، 2005م).

تقي: جاسم، "أمريكا وراء تفجيرات 11 سبتمبر"، **جريدة الخبرة،** العدد 3444، 10 أبريل 2002م.

تودوروف: تزفيتان، **الخوف من البرابرة. ما وراء صدام الحضارات،** ت: جان ماجد جبور، (الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، د.ط، 2009م).

التويجري: عبدالعزيز بن عثمان، "الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي"، طهران: **مجلة رسالة التقريب،** العدد 23، ربيع 1420ه-1999م.

التويجري: عبدالعزيز بن عثمان، **العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل،** (د.م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ط1، 2007م).

الجابري: ستار جبار، "أي حوار يريد"، العراق: **مجلة المرصد الدولي**، العدد 4، 2007م.

جارودي: روجيه، "تأملات حول الاقتصاد الإسلامي"، ت: عبد الحميد يويو، **مجلة المنعطف**، عدد 24\23، 2004م.

جارودي: روجيه، **الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها**، تعريب: خليل أحمد خليل، (باريس: دار عام ألفين، ط1، 2000م).

جارودي: روجيه، **دار النفائس**، (د.م، د.ن، ط1، 1411ه).

جارودي: روجيه، **في سبيل حوار الحضارات**، ت: عادل العوّا، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ط4، 1999م).

جارودي: روجيه، **كيف صنعنا القرن العشرين؟**، ت: ليلى حافظ، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 2000م).

جارودي: روجيه، **وعود الإسلام**، ترجمة: ذوقان قرقوط، (بيروت: دار الرقي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1985م).

جبرون: أمحمد، **تجربة الحوار الثقافي مع الغرب: قراءة تقويمية ونموذج مقترح**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، مطابع الشبانات الدولية، ط1، 2014م).

جرجس: فواز، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد 217، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م.

الجلعود: محماس بن عبدالله، **المولاة والمعادة في الشريعة الإسلامية**، (د.م: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1407-1987م).

الحاجي: عبدالرحمن، "بنية الخطاب الإسلامي الجديد"، **مجلة حوار العرب**، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، السنة الأولى، يناير 2005م.

حجازي: أكرم، **دراسات في السلفية الجهادية**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ط2، يونيو2013م).

حسن: محمد خليفة، **الإسلام والحوار مع الحضارات الأخرى**، (الدوحة: مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، د.ط، 1435ه-2014م).

حسن: محمد خليفة، **الحوار منهجاً وثقافة**، (الدوحة: مركز البحوث والدراسات، ط1، أكتوبر 2008م).

الحسن: يوسف، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات**، (أبوظبي: المجتمع الثقافي، ط1، 1997م).

حلاق: وائل، **الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**، ت: عمرو عثمان، (بيروت: المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، ط1، أكتوبر 2014م).

الحلو: أحمد منصور، **حوار الحضارات**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ط، 2007م).

خضر: لطيفة إبراهيم، **الإسلام في الفكر الغربي**، (مصر: عالم الكتب، ط1، 2002م).

خليل: عماد الدين، **في الفقه الحضاري: حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام**، (د.م: مكتبة المهتدين الإسلامية، د.ت).

راغب: نبيل، **الغيبوبة العربية**، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م).

زكريا: ابي الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مادة: (علو)، (د.م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 395ه)، ج: 4.

السامرائي: نعمان عبدالرزاق، "نهاية التاريخ من هيجل إلى فوكوياما"، **مجلة الفيصل**، العدد 243، فبراير 1997م.

السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423ه-2002م).

الشامي: علي، **الحضارة والنظام العالمي: أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب**، (بيروت: دار الإنسانية، ط1، 1995م).

شبنجلر: أوسوالد، **تدهور الحضارة الغربية**، ت: أحمد الشيباني، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط1، 1964م).

شمس الدين: محمد مهدي، "العولمة وأنسنة العولمة"، بيروت: **مجلة منبر الحوار**، العدد 37، 1999م.

شنتوح: ليليا، "القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية"، **مجلة الأديان**، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار 13 يناير 2020م.

صالح: نبيل علي، "الحضارات والثقافات بين واقع الصراع وطموح الحوار"، بيروت: **مجلة المنهاج**، السنة السادسة، ربيع 2001.

طلابي: أمحمد، **حوار الحضارات المأزوم (الإسلاموفوبيا والغربوفوبيا)**، المغرب: د.ن، 2008/01/05م.

عبدولي: سعيد الحسن، "الفوضى الخلاقة: ثنائية الأنا والأخر من خلال إشكالية الإسلام والديمقراطية"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 11، جوان 2013م.

عجك: بسام داوود، **الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ-التاريخ-الموضوعات-الأهداف)**، (د.م، دار قتيبة، ط1، 1998م).

عمارة: دليلة، **التدافع القيمي بين الحضارات والأمم أزمة النظام الدولي المعاصر أم فرصة التغيير السانحة؟** دراسات استراتيجية، Volume 8, Numéro 17, Pages 89-112 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/114602

عمارة: محمد، **أزمة الفكر الإسلامي الحديث،** (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط1، 1998م).

العوضي: هشام، **موقف الغرب من الإسلاميين،** (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1997م).

غانم: إبراهيم البيومي، "صورة الغرب عند الحركة الإسلامية المعاصرة"، **مجلة المجتمع،** العدد 1115، (الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، سبتمبر 1994م).

فوكوياما: فرانسيس، **نهاية التاريخ والإنسان الأخير،** ت: فؤاد شاهين وآخرون، (بيروت: مركز الأنماء القومي، د.ط، 1993م).

فوكوياما: فرانسيس، **نهاية التاريخ وخاتم البشرية،** ت: حسين أحمد أمين، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1993م).

كوكلر: هانس، **تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين الأسباب والحلول،** ت: حميد لشهب، (لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، د.ط، 2013م).

لاتوش: سيرج، **تغريب العالم.** بحث حول دلالة ومغزى وحدود تنميط العالم، ت: خليل كلفت، (القاهرة: دار العالم الثالث، ط1، 1992م).

لكريني: إدريس، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق،** (المغرب: د.ن، ط1، 2005م).

ماهر: مدحت، **جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،** أعمال ندوة: خبرات لحوار الحضارات، (القاهرة: منشورات جامعة القاهرة، 2002م).

مبروك: محمد إبراهيم، **الإسلام والعولمة**، الجلسة الرابعة، العولمة وقضايا الفكر الإسلامي، المتحدث الأول: عمارة، محمد، (الجيزة، يناير 1999م).
file:///C:/Users/GA18800/Downloads/Noor-Book.com%20%20%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9%203%20.pdf

مبروك: محمد إبراهيم، **الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل**، (القاهرة: مركز الحضارة الغربية، ط1، 2002م).

محفوظ: محمد، **الإسلام، الغرب وحوار المستقبل**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م).

المخادمي: عبدالقادر رزيق، **النظام الدولي الجديد: الثابت والمتغير**، (د.م: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2003م).

المرابط: مصطفى، "المركزية الغربية و"نهاية التاريخ"، **مجلة المنعطف**، العدد 5.

مراد: بركات محمد، "القرآن والسنة النبوية الشريفة أساساً للجدل والمناظرة"، **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد 483، السنة 42، فبراير 2005م.

مطبقاتي: مازن صالح، **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، دراسة تطبيقية على كتاب برنارد لويس**، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1416ه-1995م).

المنياوي: رمزي، **الفوضى الخلاقة**، (دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 2012م).

الميلاد: زكي، **المسألة الحضارية، كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، مكتبة مؤمن قريش، ط2، 2008م).

ناجي: رجاء، "استراتيجية العدوان الأمريكي على العالم العربي والإسلامي"، **مجلة المنعطف**، العدد 21.

نيتشه: فريدريك، **العلم المرح**، ت: حسان بورقية – حسان الناجي، (د.م: أفريقيا الشرق، ط1، 1993م).

هزايمة: محمد، "النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي"، **مجلة المنارة**، المجلد 15، العدد 1، 2009م.

هنتنجتون: صامويل، **صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي**، ت: طلعت الشايب، (بيروت: سطور، ط2، 1999م).

المراجع باللغات الأجنبية:

.A. Kojeve: Introduction à la lecture de Hegel, (2ème édition), Gallimard 1962

Thursday Constructive Chaos Theory: When Terrorism is of Much Avail to US
http://alwaght.com/en/News/70585/Constructive-Chaos-Theory- 13 October 2016
When-Terrorism-is-of-Much-Avail-to-US

Daryush Shayegan: Qu'est qu'une revolution religieuse? Les presses
.d'Aujourd' huit, Paris 1982

Edgar Morin: Le paradigme perdu: La nature humaine, Le Seuil, Paris 1973.

.F. Niet zsche, Monde du: La volonte de la puissance, Gallimard, Paris

Francis "OUR POSTHUMAN FUTURE", farrar, straus and :Fukuyama
.Giroux, New York, 2002

"Chaos Theory and its Application in Political Science", Joan Pere Plaza i Font

Jurgen Todenhofer: Feindbild Islam. Zehn Thesen gegen des Hass, Munchen: c.c Bertelsmann Verlag 2011,

M. Heidegger: Q'appelle t-on penser, PUF, Paris 1983.

.T. Flynn: Michael, Michael Ledeen, "Field of Fight", St. Martin's, New York

Richard N. Williams and Daniel N. Robinson, "SCIENTISM: THE NEW ORTHODOXY" Bloomsbury, Lindon. New Dei. HI. New York. Sydney, 2015.

.Roger Garaudu: L'Islam vivant, La maison des livres, Alger 1986

Zakaria, "Conversation with Lee Kuan", p.118: Al-Turabi. "Islamic Awaken. Ing's Second Wave," p.53.See Terrance Carroll, "Secularization and States of Modernity," World Politics, 36 (April 1984).

ألكسندر كوجيف- Introduction a la lecture de Hegel من كتاب: مدخل إلى قراءة هيغل.

مراجع شبكة الإنترنت:

السلمي: عبدالرحيم بن صمايل، "الحوار بين الأديان"، الدرر السنية، 4 رجب 1431ه.

https://dorar.net/article/116/

الكراهية والعنصرية ضد الإسلام في الغرب، برنامج: بلا حدود، تاريخ الحلقة 22\08\2010م.

https://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds/2010/8/22/